جـامعة عبد الحميد بن باديس بمستغانم
كليـــــــة الآداب والفنــون
قســم اللغة العربيــة وآدابهـا
فرع الدراسات الأدبية والنقدية
تخصص نقد حديث ومعاصر

السخرية والفكاهة في العصر العباسي: كتاب البخلاء للجاحظ نموذجا

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في النقد الحديث والمعاصر

إعداد الطالبة:
- ضامن هجيرة

إشراف الدكتور:
- قوفي أحمد

2018-2017

المقدمة

تعدّ الحقبة التي حكم فيها بنو عبّاس من أبهى العصور والأيام في تاريخ أمتنا المجيدة، زهت فيه المدينة،وارتقت الحضارة،وسمت العلوم،ونمت الآداب،وبلغ العطاء الفكري منزلة منيعة، ووصل الإنفتاح العقلي إلى أسمى مكانة،فكانت هناك نهضة شاملة في الحياة الفكرية والأدبية،وما انجرّ عنهما من فنون كالسخرية والفكاهة.

وعليه،فقد اخترت العصر العباسي للدراسة ،ووقع اختياري على موضوع السخرية والفكاهة التي تحمل الإبتسامة في محاولة لنشر البهجة وإعادة التوازن للنفس البشرية،ومن جانب آخر تحمل الآلام التي تعتمل في أعماق الأديب الذي يريد الإصلاح من خلال النقد الساخر لواقع الناس؛وهي في الوقت نفسه تُقدّم طريقة غير مباشرة في الهجاء والهجوم على الأعداء وسلاح فعال للمقاومة.

ورغبة مني في دراسة كتابات الجاحظ،وكون كتابه البخلاء لا يخلو من السخرية،حيث مزج السخرية بالواقع الذي عاشه ،إلى جانب براعته في توظيف النصوص الساخرة،ما جعلني منكبّة على دراسة وتحليل هذا الكتاب للغوص في أعماقه ومعرفة أسرار هذا الكتاب.

وقد أثار هذا الموضوع عدة تساؤلات تولّدت للذهن لعلّ أهمها:ما مفهوم السخرية؟وهل هي جديدٌ مبتكر أم عرفها الأدب العربي من قبل؟وما هي الدوافع التي أدت بالأديب إلى ظهور هذا الفن؟

وقد اتبعت في هذا المنهج التحليلي مع الإستعانة بالمنهج الوصفي،ولإثراء هذا الموضوع والإجابة على هذه التساؤلات قسمت بحثي هذا إلى مقدمة ومدخل وفصلين وخاتمة.

فقد تطرقت في **المدخل** الذي جاء بعنوان **السخرية في التراث العربي القديم** إلى تطور السخرية عبر العصور بداية من العصر الجاهلي وإلى غاية العصر العباسي.

ويبيّن **الفصل الأول**: الذي جاء بعنوان **السخرية والفكاهة المفاهيم والدوافع**،حيث تطرقت فيه إلى مفهوم كلّ من السخرية والفكاهة،مع ذكر أسباب السخرية وأنواعها،وأشكال السخرية والفكاهة العباسية.

أما **الفصل الثاني :** فقد جاء بعنوان **السخرية والفكاهة من خلال كتاب البخلاء للجاحظ**،وكان بمثابة دراسة تحليلية ،حيث قسمته إلى ثلاثة مباحث أساسية من بينها:

أولا:التعريف بالجاحظ وكتابه البخلاء.

ثانيا:مصادر تشكيل نموذج البخيل في كتاب البخلاء للجاحظ.

ثالثا: لغة نموذج البخيل والتي درستها من حيث طبيعة اللفظ،والأساليب،وأخيرا تطرقت إلى بعض المواقف من نماذج البخيل.

وجاءت **الخاتمة** بمثابة جملة من النتائج والتوصيات التي استخلصت من كتاب البخلاء للجاحظ.

واعتمدت في هذه الدراسة على مجموعة من المصادر والمراجع التي ساعدت في إثراء هذا البحث،من بينها:

- ✓ نعمان محمد أمين طه،السخرية في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري.
- ✓ سيف محمد المحروقي،نماذج إنسانية في السرد العربي القديم.
- ✓ سعد فاروق،مع بخلاء الجاحظ.
- ✓ محمد حسين،الهجاء والهجّاؤون في صدر الإسلام.
- ✓ نسيمة الغيث،من المبدع إلى النص:دراسات في الأدب والنقد.
- ✓ حامد عبده الهوال،السخرية في أدب المازني.

وكغيره من البحوث،فقد واجهتني صعوبة في انجاز هذا البحث وذلك لقلة المراجع من جهة،إضافة إلى ندرة التطرّق لمثل هذا الموضوع.

وفي الأخير أتقدم بجزيل الشكر إلى أستاذي الفاضل (قوفي أحمد) ،الذي أشرف على هذا العمل،وأعانني بملاحظاته وتوجيهاته ،ولم يبخل علي بشيء.كما أتقدم بالشكر إلى كل من أعانني من قريب أو من بعيد على إنجاز هذا البحث المتواضع.

تعد فترة ما قبل قبل الإسلام أو ما عرفت بالجاهلية أهم مرحلة زاخرة بمختلف فنون الأدب في حياة الإنسان العربي، فقد كان الشعر ديوان العرب، ومصدر نبوغهم وتخليدا لمآثرهم وأيامهم وبطولاتهم، حيث كان الشاعر يمثل رمز السيد والحامي والفارس.وعلى من هذا وذاك فقد ضاع الكثير من الشعر والنثر ، الذي تمثل في شيوع فنون نثرية متنوعة ما يدل على وجود تراث ضخم ذهب مهب الريح ولم يصلنا منه إلا القليل.

وقد حفل التراث العربي بالعديد من الصور الساخرة مع أنها لم تبرز في شكل أدبي قائم بذاته،حيث كانت مرتبطة بالفنون الأخرى.فقد ارتبطت في العصر الجاهلي بالغضب والهجاء والذمّ،حيث كان الهجاء مع فظاظته وخشونته نوعا من السخرية،وعلى الرغم مما يبعثه أحيانا في نفس المهجو من الضيق والألم فإنه «يثير الضحك عن طريق إبراز العيوب وتجسيمها والمبالغة في تصويرها إلى الدرجة التي تجعل المهجو غير ملائم للصورة الطبيعية التي يجب أن يكون عليها الكائن»[1].ومن ذلك ما قاله حسان بن ثابت في هجائه لبني عبد المدان بطول أجسامهم وبدانتهم:

لا بَأْسَ بِالْقَوْمِ مِنْ طُولٍ ومِنْ غَلَطٍ جِسْمِ البِغَالِ وأَحْلامِ العَصَافِيرِ

إن في تشبيه حسان لأجسام بني عبد المدان بالبغال وعقولهم بعقول العصافير،موقف ساخر حاول من خلاله تبيان العيوب الجسدية والنفسية لهؤلاء.

وعليه فقد عرف العرب نوعا آخر من الهجاء ربما يكون أقل حدة وأخف وطأة لأنه يأتي بشكل غير مباشر فيكون ذما في صيغ المدح لهؤلاء.نذكر من ذلك قول (قريط بن العنبري) في قومه:[2]

لَكِنْ قَوْمِي وَإِنْ كَانُوا ذَوِي عَدَدٍ لَيْسُوا مِنَ الشَّرِّ فِي شَيْءٍ وَإِنْ هَانَا

يُجْزُونَ مِنْ أَهْلِ الظُّلْمِ مَغْفِرَةً وَمِنْ إِسَاءَةِ أَهْلِ السُّوءِ إِحْسَانَا

كَأَنَّ رَبَّكَ لَمْ يَخْلُقْ لِخَشْيَتِهِ سِوَاهُمْ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ إِنْسَانَا

فَلَيْتَ لَي بِهِمْ قَوْمًا إِذَا رَكِبُوا شَنُّوا الإِغَارَةَ فُرْسَانًا وَرُكْبَانَا

[1] - بوحجام محمد ناصر،السخرية في الأدب الجزائري الحديث،جمعية التراث غرارية،د.ط، الجزائر،2003،ص22.

[2] - أبو عيسى فتحي محمد،الفكاهة في الأدب العربي إلى نهاية القرن الثالث الهجري،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،د.ط،الجزائر،1970،ص28.

إنّ الشاعر في هذه المقطوعة يطلعنا على الصفات الحميدة لقومه كالعفة والحلم،وخشية الرّب،يأتي في البيت الأخير ليتهمهم بالضعف والتذلل،«فهي صورة أخرى من صور السخرية التي يمكن أن تكون تهكما مريرا أو هجاءا يظهر فيه المعنى بعكس ما يظنه الإنسان»[1].

إضافة إلى ذلك فهو هجاء إجتماعي خالٍ من السّب والشتم ممزوج بشحنة عاطفية متدفقة يملؤها التحسر لحال قومه التي كانوا يعيشونها من جهة أخرى،والسخرية في العصر الجاهلي كانت تتمظهر خاصة في الهجاء حيث قويت المناظرات والمشاحنات،لكنها بقيت منضلة بنظام القيم ممتزجة بانفعال الضحك مع أن درجته قد تقارب الصفر أحيانا،أما ما كان سبّا وشتما وتعريضا فهو هجاء فظ مباشر.

وقد كان لظهور الإسلام في شبه الجزيرة العربية أثر كبير في تراجع حدّة الهجاء،حيث حرمت الصراعات والنزاعات وانتهاك الحرمات،ما أدى لتراجع فن السخرية خاصة وأنّ الإسلام كان قد نهى عنها في عدة مواضع من القرآن الكريم،لكنها عادت للظهور من جديد مع عودة الهجاء،فقريش حرضت كل شعرائها لقذف الدعوة المحمدية والتجريح في الإسلام والمسلمين،وما كان من هؤلاء المسلمين سوى الرّد بالمثل ليظهر بذلك مصطلح الهجاء السياسي خاصة مع بداية انتشار الإسلام واتساع رقعته،ومن ذلك نذكر ما قاله حسان هاجيا هندا في غزوة أحد:[2]

أَشِرت لكَاعٍ عَادَتَهَا لُؤْمٌ إذا أَشِرَتْ مع الكُفْرِ

قَرِحَتْ عَجِيزَتُهَا ومَشْرِجُهَا مَنْ نَصّهَا نَصًّا على القَهْرِ

إضافة لكون هذه الأبيات هجاءا مقدعا وفاحشا،«فهي صورة ساخرة يظهر فيها حسان هنداً في أبشع الصور التي يمكن أن يتصورها العقل الإنساني»[3].

وازداد تطور فن السخرية وانتشاره مع الخلافة الأموية حيث انتشر الإسلام تقريبا في جميع أرجاء الجزيرة العربية،ومع تحول نظام من شورى إلى ملكي وراثي،حيث تفشت الصراعات السياسية والخلافات الحزبية بين المسلمين،فعرف الهجاء في هذه الفترة أوجّ مراحل تطوره خاصة مع ثلاثي النقائض جرير والفرزدق والأخطل في بني كُلَيْب قبيلة جرير .

قال الأخطل:[1]

---

[1] - بوحجام محمد ناصر،السخرية في الأدب الجزائري الحديث،ص29.

[2] - البرقوني عبد الرحمان،شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري،دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة،بيروت ،1983،ص285.

[3] - سامية مشرب،السخرية وتجلياتها الدلالية في القصة الجزائرية المعاصرة،رسالة ماجيستر،جامعة مولود معمري، تيزي وزو،الجزائر،د.ت،ص33

قَوْمٌ إذا استنتج الأَضيافُ كلبهم قالوا لأُمّهم بُولي على النّار

فتمسّك البُولُ بُخْلاً أنْ تجود به وما تَبُولُ لهم إلاّ بِمقدارِ

فالأخطل في هذا المقطع لم يكتف بوصف كليب باللؤم والدناءة وابتذال الناس،بل جعل نارهم أيضا حقيرة ضئيلة تطفؤها الكمية القليلة من الماء،وفي هذا سخرية بالغة.فقد ذم من خلالها صفة اللؤم والبخل فيهم لأنهم إذا شعروا بقدوم الضيف ليلا طلبوا من أمهم أن تبول على النار كي تطفئها فلا يهتدى الضيف إلى مكان تواجدهم،كذلك نذكر ما قاله جرير في ذمة النساء تغلب قبيلة الأخطل وقذفهن في شرفهن وأخلاقهن قوله:[2]

نِسْوَانُ تَغْلِبٍ لا حِلْمَ ولا حَسَبَ ولا جَمَالَ ولا دِينَ ولا خَفَرَ

فالسخرية إذاً بقيت لغاية العصر الأموي مرتبطة بالهجاء والمجون والمناظرات يميزها عنصر الإضحاك،وتعمّد الإساءة للشخص المهجو.وما دمنا نتحدث عن تيار المجون في العصر الأموي فإنه من المفيد أن نتساءل :ما الأسباب التي لم تتح لهذا التيار أن يتحول إلى اتجاه شعري كبير،كما هو الحال في العصر العباسي؟هذه الأسباب تعود إلى أن ما جدّ على الحياة العربية في عصر الأمويين من المظاهر الحضارية لم يمس مختلف جوانبها ولا وصل إلى جميع أنحائها،ولا أخّر القبائل جميعاً بحيث تتحول برمّتها من مجتمع بدوي بعاداته وتقاليده وقيمه إلى مجتمع متحضّر منبت الصلة عن ماضيه،تقول هذا على الرغم من انتشار الغناء في الشام والحجاز،وظهور طبقة لاهية عابثة من الشعراء الغزليين الماديين وشعراء الخمرة كالوليد بن يزيد،ومطيع وغيرهم.وعلى الرغم من وجود مظاهر تطور اجتماعي شهدتها بعض البيئات أدّت إليها ظروف تتصل بسياسة الدولة الأموية التي حاولت إبعاد الناس عن السياسة،وشجعت الشباب على الإقبال على الملاهي،«لكن ذلك لم يكن سوى انحرافات بسيطة وكَدَرٍ طَفاَ على سطح الحياة لم يتسرّب إلى أعماقها،ولم ولم يشوه صورتها ومثلها العليا»[3].

أمّا ثاني الأسباب فهو أنه لم يكن أمام الشعراء الأمويين من الأصول الفنية إلا التراث الجاهلي الذي جمع لهم أطرافا منه اللغويون والنحويون،وهؤلاء كانوا متشددين في محافظتهم على السلفية والأصول الجاهلية،أضف إلى ذلك عاملا آخر هو أن الفترة الزمنية التي عاش إبانها الشعراء الأمويون كانت قصيرة ومضطربة تنازعهم فيها تياران مختلفان:تيار القديم الذي يمثل استيواء أساليبهم واكتمال خصائص فنهم،وتيار الجديد الذي نزع إليه بعضهم،وحاول إرساء أصول له،إلاّ أنّ سيطرة القديم كانت غالبة ،فالشعر القديم أساس ينبغي أن يُنظر إليه نظرة

---

[1] -طراد مجيد،شرح ديوان الأخطل،دار الجيل،الطبعة الأولى،بيروت،د.ت،ص227.

[2] - الصاوي محمد إسماعيل عبد الله لاتا،شرح ديوان جرير،منشورات مكتبة الحياة،د.ط،بيروت،ص263.

[3] - عطوان حسين،مقدمة القصيدة العربية في العصر الأموي،دار المعارف،د.ط،بيروت،1974،ص18.

احترام وتقديس.وهنا نصل إلى ثالث أسباب وهو أنّ علماء اللغة والنحو والرواة في هذه الفترة المبكرة كانوا يفضلون الشعر الجاهلي ويدعون الشعراء إلى محاكاته والصوغ على شاكلته لغة ونحوا ،بل إنّ تفضيل القديم والتنويه به،والدعوة إلى احتذائه كانت من أهم العوامل التي حفزت الشعراء على تعاقب العصور إلى الاتصال بالشعر الجاهلي،«وتمثل خصائصه الموضوعية والفنية كما كانت من أهم الأسباب التي هيّأت لإستمرار الجانب التقليدي في القصيدة العربية سواء من حيث الشكل أو من حيث المضمون والمعنى»[1].وبذلك ظل للقصيدة العربية جلالها واحترامها موضوعها الذي لا يغرق في الفحش أحيانا.

وعليه،فقد كانت المبالغة في شرب الخمرة من عوامل المباهاة وإظهار الغنى وعدم المبالاة بالإسراف في الانفاق على شربها،وقد رأى العربي في الخمرة مظهراً للترف والفروسية والكرم،لكن الحياة في العصر العباسي تبدلت وتغيرت حتى تكاد الصلة بالقديم تنقطع،يؤكد هذا ما تحدثنا عنه سابقا من كثرة الجواري والغلمان،وانتشار الخمرة،والاهتمام بالغناء،ويذكر الراغب الأصفهاني تعريفات للغناء تدل على أهميته وذيوعه وانتشاره،ومنها:«أجود الغناء ما أطربك وألهاك،أو أحزنك وأشجاك،وغناء بلا شراب كنحلة بلا عطية،وهدية بلا نية،ورعد بلا مطر،وشجر بلا ثمر»[2].

عندما تأتي إلى الحقبة الأموية تتطور السخرية وتدخل نسيج النقائض لتكون معلما من معالم التطور الفني الذي حققته هذه النقائض،ونجد شاعرا مثل الحطيئة يتطور الهجاء عنده إلى شعر ساخر لا يخلو من نكتة لاذعة وانتقاد اجتماعي دقيق لبعض الحياة الاجتماعية ،ويقارب بعض تصوراتنا للخصائص الفنية للسخرية في القرن الثالث.فقد ذكرت قصص كثيرة عن الفكاهة والسخرية تمثل المجتمع الأموي كالأعمش«الذي كان عالما بالقرآن والحديث،قيل له:مما عمشت عيناك؟قال:من النظر إلى الثقلاء.وقال شريك: سمعت الأعمش يقول:إذا كان عن يسارك ثقيل وأنت في الصلاة،فتسليمة عن اليمين تجزئك»[3].

أما **أشعب** فقد اشتهر بشدة الطمع وكثرة التطفل حتى قيل:«وقف أشعب على إمرأة تعمل طبق خوص،فقال:لتكبريه،فقالت:لم؟أتريد أن تشتريه! قال:لا،ولكن عسى أن يشتريه إنسان فيهدي إليّ فيه،فيكون كبيراً خير من أنْ يكون صغيراً»[4].

---

[1] - عطوان حسين،مقدمة القصيدة العربية في العصر الأموي،ص19.

[2] - الراغب الأصفهاني،محاضرات الأدباء،دار مكتبة الحياة،د.ط،بيروت،1961،ص712.

[3] - المصدر نفسه،ص34.

[4] - الأصفهاني أبو الفرج علي الحسين،الأغاني،تحقيق:علي السباعي،وعبد الرحمان إبراهيم العزباوي، إشراف:محمد أبو الفضل إبراهيم،دار إحياء التراث العربي،د.ط،بيروت،1960،ص150.

ومع بداية العصر العباسي وازدهار الآداب والفنون عرفت السخرية نقلة نوعية،حيث توضحت معالمها وبدأت قواعدها الأولى تترسخ كفن قائم بذاته،لذا كانت هذه الفترة بداية فعلية لظهور السخرية وخاصة أنّ العديد من الكتاب والشعراء جعلوا منها أسلوبهم الخاص في الكتابة والتعبير عن روادهم للوجود ومواقفهم إزاء الواقع وتناقضاته،ونذكر مثلا قصص كليلة ودمنة لعبد الله بن المقفع التي كتبت على لسان الحيوان للتعبير عن الفوضى السياسية السائدة آنذاك،كذلك فن المقامات ورسالة الغفران،وكتبا أخرى لا يتسع مجالها لذكرها،وقد اقتصرنا في هذه المرحلة على ذكر بعض النماذج،فأبو نواس وإن تمرد على القصيدة الطللية قائلا:[1]

دَعِ الأطْلاَلَ تَسْفيهَا الجنوبَ وتَبْلى عهد جِدّتها الخُطوبَ

وخَلِّ لراكبِ الوَجْناءِ أرْضاً تَخَبّ بها النّجيبَةُ والنّجيبُ

ولا تأخذ عنْ الأعرِاب لهواً ولا عَيْشاً فَعيْشُهُمْ جَديبُ

إلاّ أنّ ثورته هذه لم تكن رفضاً للقيم الفنية القديمة في حدّ ذاتها،إنما هو رفض للتقليد وهيمنة الماضي على الحاضر دون مراعاة الخصوصيات الفنية والابداعية لكل عصر.لذا يمكننا اعتبار أبياته هذه دعوة جديدة للإبداع الفني والخلق الجمالي في الأدب،وابن الرومي كذلك عاش محروما ساخطا على التفسخ السياسي والاجتماعي والانهيار الاقتصادي السائد آنذاك،فقال هاجيا أصحاب المال والجاه الذين اتخذوا ثرائهم مطية لبلوغ المراتب العليا:[2]

أَتراني دون الأولى بَلَغوا إلاّ مَالَ مِنَ شُرْطِةٍ ومنْ كُتّابِ؟

تُجّارٌ مِثل البَـِهائِمِ فازوا بالمِنى في النّفوسِ والأحْبابِ

غير مَغنينَ بالسّيوفِ ولا الأقْلامِ في موْطِنٍـِ غناءَ ذُبابِ

ويظَلّون في المَنَاعِمِ واللّذاتِ بين الكواعِبِ الأتْرابِ

نلمس في هذه المقطوعة عددا كبيرا يظهره ابن الرومي حيال هؤلاء ،لا بدافع الحسد أو الضغينة بل« يصف أُناساً يرفلون في حلل السعادة وهم لم يمدوا إليها يدا،ولا سعت بهم في سبيل اكتسابها قدم،ولا استحقوها إل بأن الحظ أورثهم إياها،وإنْ لم يكونوا خير الناس،ولا أكفاهم ولا أفضلهم»[3]،وبالتالي فأبياته هذه نوع من أنواع النقد الاجتماعي الذي يهدف إلى إصلاح الواقع وسد مواطن النقص فيه،كذلك لا يخص علينا في إطار تتبعنا لتطور فن السخرية

[1] - فاعور علي،شرح ديوان أبي نواس،دار الكتب العلمية،الطبعة الثانية،بيروت،د.ت،ص35.

[2] -بسج أحمد حسن،شرح ديوان ابن الرومي،الكتب العلمية،الطبعة الأولى،بيروت،1994،ص189.

[3] - المازني إبراهيم عبد القادر،حصار الهيثم،دار الشروق،د.ط،بيروت،1972،ص292.

في هذا العصر أن نذكر أبا عثمان عمرو بن بحر الملقب بالجاحظ الذي برز في هذا المجال حيث«اتخذ المجتمع مادة لقلمه فشقّ بذلك تيارا جديدا في الكتابة والإبداع»[1] ،لأنه يدسّ التهكم دسّاً خلال كتاباته فيقضى حجج مناوئيه بهذه الطريقة،بقدر ما يقتضى عليها ببراعته المنطقية التي تلقنها على فلاسفة الإغريق،ويعد كتابه(البخلاء) واحدٌ من أشهر كتبه التي ألّفها في هذا المجال،«وفيه أضحكنا بتصوير طرقهم في الحرص والاقتصاد وحيلهم في صرف الضيوف من الطعام»[2].

وبهذا يمكننا اعتباره أحد أشهر روّاد هذا الفن في العصر العباسي حيث كانت السخرية طابعه الخاص في الكتابة والإبداع حتى في أخطر المواضيع التي يتناولها سياسية كانت أو دينية أو اجتماعية.

وعليه، فقد عرفت السخرية في العصر العباسي رواجا كبيرا باعتبارها «أسلوبا جديدا في الكتابة والتعبير عن قضايا المجتمع في تلك الفترة»[3].وبهذا أصبحت السخرية تستلزم تعبيرا عن موقف نفسي إزاء الحياة والناس والمقصود منها هنا موقف الأديب العباسي،الفكري والفني والذاتي الموجود داخل عمله الفني تجاه مجتمعه بما يحوي.كما لا يمكن أن نغفل الجوانب والدوافع لدى الأديب العباسي،فهناك مؤثرات داخلية يمتلكها الفرد في طبيعته كحبه وميله للهزل والسخرية والضحك والمرح،أو اللجوء للتعبير عن الألم الذي يتفجر في داخله،فلابد من وسيلة للتنفيس لأن الضحك لا يعبر دائما عن المرح والارتياح والانشراح ،فهو بمثابة القناع الذي يخفي وجه الحقيقة أحيانا حيث يكون التنفيس عن الآلام أداة للعلاج والإحتجاج والتقويم للفرد والمجتمع فيضعها في قالب يحاول من خلاله أن يرسم البسمة على الوجوه،والأهم من ذلك كله شخصية الساخر المتفكّه،وهو الشعور بالتفوق على الآخرين في الضحك،إضافة إلى العاهات الخلقية والنفسية التي كانت سببا في ترك بصمات واضحة على اتجاههم نحو السخرية،فأصبحت العاهة حافزا للإبداع والتأمل عمّا يحسه الشاعر من نقص،فإذا كان الحطيئة والفرزدق،وبشار والجاحظ أصحاب عاهات حقيقية إلا أنهم عند الإستشهاد بجرير مثلا يشيرون إلى أنه ولد لسبعة أشهر،فهل هو سبب السخرية عنده؟ونحن نعلم من خلال تجارب المجتمع أنّ المولود لسبعة أشهر يكون ذكيا ،وليس صاحب عاهة أو معاقا،أما أبو تمام فكان يعاني من حبسة إذا تكلّم،وابن الرومي كان نحيلا،والجاحظ أصبح مدرسة في النثر العربي بسبب جحوظ عينيه ومظهره الخارجي غير الجذّاب.

---

[1] - جبر جميل لاتا،نوادر الجاحظ بقلم الجاحظ،سلسلة عالم الفكاهة،د.ط،الجزائر،د.ت،ص05.

[2] - الجاحظ عمرو بن بحر،البخلاء،شرح:كرم البستاني،دار صادر،الطبعة الأولى،بيروت،1963،ص07.

[3] - سامية مشرب،السخرية وتجلياتها الدلالية،ص17.

1- مفهوم السخرية

تعد السخرية من أروع الفنون الأدبية التي أنتجتها قريحة الإنسان، وذلك لما ينطوي عليه من رصد لنبضات الحياة معبرا عن الآمال والآلام ، من خلال انصهاره في قلب الواقع الذي يلقي الأديب وحيه من خلاله، لذا تقف السخرية على رأس الأساليب الفنية صعبة إذ أنها تتطلب التلاعب بمقاييس الأشياء تضخيما أو تصغيرا، تطويلا أو تقصيرا، «هذا التلاعب يتم ضمن معيارية فنية هي تقديم النقد اللاذع في جوّ من الفكاهة والإمتاع»[1].

أ* لغة:

قبل الإتجاه إلى المعنى الاصطلاحي لكلمة السخرية كان من الضروري الوقوف على معناها في اللغة، حيث نجد الزمخشري قد ذكر في باب سخر:«سَخَرَ فلان سُخْرةٌ وسُخْرةً ،ويضحك منه الناس ويضحك منهم»[2].

كما وردت في معجم لسان العرب لابن منظور:«يسخر منه وبه سُخرا وسَخْرا، وعرفها الخليل بن أحمد الفراهيدي، والسُّخْرة :الضحكة وسُخريا في الإستهزاء: سَخرت السقف ، أي أطاعت وطاب لها السّيْر ، قال سواخر في سواء اليمّ تحفر»[3] .

وأما في منجّد الوسيط "سخر" يسخر ،سخرا،وسخرة:لذع بكلام تهكمي»[4].

وقد ورد في قاموس المحيط:

«سَخر منه وبه، كفرح،ومسخراً ،وسخرا أي هزئ»[5].

ويصعب تحديد مصطلح السخرية تحديدا جامعا مانعا ،ويعود السبب في ذلك إلى حيوية هذا المصطلح كفن قابل لتجديد، فالسخرية كما يقول برحسوني:«شيء حي قبل كل شيء»[1] .

---

[1] -زهير محبوب، السخرية ودلالتها في المجموعتين القصصيتين:وفاة الرجل الميت واللعنة عليكم جميعا للسعيد بوطاجين،رسالة لنيل درجة الماستر، جامعة محمد خيضر، بسكرة،2012-2013،ص25.

[2] -الزمخشري أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد،أساس البلاغة،دار الكتب العلمية، ط1، بيروت،لبنان،د.ت،ص443.

[3] -الخليل بن أحمد الفراهيدي،كتاب العين،تحقيق:عبد الحميد هنراوي،دار الكتب العلمية،ط1، بيروت،لبنان،1424ه/2003،ص226.

[4] -أنطوان نعمة وآخرون،المنجد الوسيط في العربية،دار المشرق،ط1،بيروت،2003،ص486-487.

[5] -مجد الدين بن يعقوب الفيروز آبادي، قاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، ط8، بيروت، لبنان،2005،ص1171.

تعرف السخرية أيضا بأنها «إنزال الهوان والحقارة كما عند الزمخشري»[2] .وكثيرا ما يوصف شاعر أو أديب بأنه شاعر ساخر أو أديب ساخر.

ولأمر ما استعمل القرآن الكريم هذه اللفظة للدلالة على هذا المعنى،وأراد أن يصرح بالنهي عن استخدام هذا الفعل ترك الترادفات ،حيث عبر بلفظ السخرية فقال:«لا يسخر قوم من قوم»[3].

فقد يحاول الساخر دائما الحطّ من شأن خصمه، وفي حروف الكلمة إحساس بالطراوة والخبث والدهاء بعكس لفظة التهكم التي تدل على الهدم والاقتحام،ففي «لفظ السخرية لين أشبه بلين الأفاعي»[4].

ويرى بعض الباحثين أن السخرية هي طريقة من طرائق التعبير،«يستعمل فيها الشخص ألفاظا تقلب المعنى إلى عكس ما يقصده المتكلم حقيقة وهي صورة من صور الفكاهة»[5].

وقال آخر بأنها«هي طريقة التهكم المرير والتنذر أو الهجاء الذي يظهر فيه المعنى بعكس ما يظنه الإنسان،وربما كانت أعظم صور البلاغة عنفا وإضافة وفتكاً»[6] .

وقد جمع الإمام الجوهري كذلك «معنى السخرية بالهزء والتذليل»[7]، خاصة وأنهما وردتا معا فب عدة مواضع من القرآن الكريم، وذلك بقوله تعالى:«ولَقَدْ اُسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُونَ»[8].

عدا ذلك فقد بقيت السخرية مرتبطة بالمحادثات اليومية تحمل المعنى نفسه، وكونها مصدرا لانفعال الضحك «جعلها تصنف ضمن أساليب الفكاهة كالهزل،والطرفة والنكتة ، فالإنسان الذي لا يتوفر في شخصه جانب الفكاهة والخفة يوصف بالثقل والعبوس،كذلك تدل

---

[1] -عبد الرحمان محمد الجبوري، السخرية في شعر البردوني،المكتب الجامعي للحديث، ط1،كركوك، العراق،2011،ص11.

1- صباح عبيد دراز،الأساليب الانشائية وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم،مطبعة الأمانة،ط1، مصر،1406ه،ص46.

[3] -سورة الحجرات:الآية11.

[4] -نعمان محمد أمين طه،السخرية في الأدب العربي،دار التوفيقية،ط1،القاهرة،مصر،ص14.

[5] - المرجع نفسه، ص12,.

[6] - المرجع نفسه، ص14.

[7] - إسماعيل بن حماد الجوهري،الصحاح، مراجعة وتصحيح:محمد محمد التامر،دار الحديث،د.ط، القاهرة، 2009، ص525.

[8] - الأنعام، الآية:10.

على سعة المستوى الثقافي للساخر الذي يعتمد وسائط متعددة بعيدة الدلالة»[1]. فالسخرية وإن ارتبطت دلالتها بالهزء والتحقير إلا أن إتقانها يستدعي ذكاءا وفطنة شديدة لا يتوفران في أي كان،لذلك تعتبر بعدا كبيرا بين المثالية والواقع، فلا يمكن لجميع الناس أن يكونوا ساخرين،وإلا فقدت جودتها وعلى هذا يمكننا القول: إن السخرية فن قائم بذاته يختص في أي تأليفه بجماعة معينة من الناس.ولهذا يمكننا القول بأنّ السخرية تصدر عن نفس مرحة متفائلة بالحياة وطبيعة لا تعرف الحقد واللؤم ومزاج يميل إلى الاعتدال فيخلط الجد بالهزل.

2- مفهوم الفكاهة:

إن الفُكاهة بالضم تعني المزاح، وبالفتح مصدر "فَكِهَ" الرجل فهو فَكِهٌ، إذا كان طيب النفس مُزاحاً، والمفاكهة أي الممازحة»[2].

والفكاهة: بمعنى المزاح ، وما يتمتع به من طرف الكلام ، ورجل فاكه وفّكِهَ: الطيب النفس الذي يكثر الدعابة ،ويقال: فلان فكِه بأعراض الناس،« يتلذذ باغتيابهم»[3].

ويربطها الثعالبي بقوله:«إذا كان الرجل طيب النفس ضحوكا ،فهو فَكِهٌ»[4].وهو في باب المحاسن والممادح عنده.

وفي **القرآن الكريم:**

وردت الفكاهة بمعنى الاستهزاء في قوله تعالى:«إنّ الذين كفروا كانوا من الذين آمنوا يضحكون،وإذا مرّوا بهم يتغامزون،وإذا انقلبوا إلى أهلهم فكهين»[5]. فنلاحظ الصلة بين الضحك والتغامز لأنهم «يرجعون متلذذين بذكرهم،والضحك منهم استخفافا بأهل الإيمان»[6]. فالآية تربط السخرية من المؤمنين بالظاهرة الأصل لها جميعا ،وهي الضحك دليل ذلك أن الآيات التي بعدها توضح أن الظالمين جزاؤهم يوم القيامة من حبس عملهم في الدنيا، وهو أن يضحك المؤمنون يوم القيامة، وهذا لقوله تعالى:«فَالْيَوْمَ الّذِينَ آمَنُوا مِنَ الكُفَّارِ يَضْحَكُونَ عَلَى الأَرَائِكِ

---

[1] - محمد العمري،البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول،إفريقيا الشرق، الدار البيضاء،د.ط،المغرب،2005، ص92.

[2] -الرازي محمد بن أبي بكر عبد القادر،ت:666هـ، مختار الصحاح، د.ط، مكتبة لبنان، بيروت،1987، ص213.

[3] -مصطفى إبراهيم والزيات، ومجموعة مؤلفين، المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع،ط2، إسطنبول، تركيا،1972، ص699.

[4] -الثعالبي أبو منصور عبد المالك بن محمد بن إسماعيل،ت:429هـ، فقه اللغة وسر العربية،حققه:مصطفى السق،وآخرون،دار الفكر، ط3،القاهرة،د.ت،ص165.

[5] -سورة المطففين،الآيات:31،30،29.

[6] - الصابوني محمد علي، صفوة التفاسير، دار القرآن الكريم،ط4، بيروت، 1981،ص531.

يَنْظُرُونَ هَلْ ثَوَّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ»[1]. فاختار لها العنوان الأصلي وهو الضحك، ولم يشر إلى النتائج الأخرى المترتبة عليه من سخرية واستهزاء وتهكم وتفكه....فهي ظواهر نفسية من فصيلة واحدة.

3- أنواع السخرية:

لقد تعددت السخرية في العصر العباسي الذي عرف حركية متنوعة ومتغيرات في المجتمع نظرا لتفشي ظاهرة الشعوبية وانتشار اللحن في صفوف العامة،وعليه يمكن تصنيف السخرية لاعتبارات سياسية،واجتماعية،وثقافية . نذكر منها:

أ- السخرية السياسية:

لقد برز بعض الشعراء في العصر المملوكي في باب النقد السياسي، وهو نوع إيجابي من الهجاء ،وذلك لتجاوز صور الفردية الضيقة، «ليتناول ذات الآثار السلبية في المجتمع، حيث كان الشعراء يسخرون مما جنته البيئة السياسية»[2]. وقد انتقلت «صور الهجاء السياسي في ذلك العصر وتعددت مذاهبه»[3].

ب- السخرية الاجتماعية:

ينطوي تحت هذا النوع من السخرية فن الشكوى، حيث نراه يشيع يتعلق في النقد الاجتماعي أو في الشعر الفكاهي، ولعل «الفكاهة كانت ألصق بهذا النوع من السخرية بملامح الإنسان الخارجية في الشعر ،ومقابلها الجوانب المعنوية في ذات الإنسان وحياته كالبخل والغناء والثقل وغيرها»[4].

كما نجد أيضا السخرية من فئات اجتماعية مختلفة مثل: المرأة والنجار حيث يقول "ابن الرومي" في سخرية وهجاء:[5]

وتُجَّارٌ مِثْلَ الْبَهَائِمِ فَازُوا بِالْمِنَى فِي النُّفُوسِ والأَحْبَابِ

أَصْبَحُوا يَلْعَبُونَ فِي ظِلِّ دَهْرٍ ظَاهِرِ السُّخْفِ مِثْلُهُمْ لُعَّابُ

---

[1] - سورة المطففين،الآيات:36،35،34.

[2] -محمد شاكر عمرو، السخرية في العصر المملوكي الأول،(784-648م)،رسالة لنيل شهادة ماجستير،كلية الدراسات العليا برنامج اللغة العربية،جامعة الخليل،فلسطين،2008-2009م،ص04.

[3] -ركان الصفدي، ابن الرومي الشاعر المجدد ، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، د.ط، د.ت، دمشق، ص74.

[4] - محمد شاكر عبدو، السخرية في العصر المملوكي الأول،(784-648م)، رسالة لنيل شهادة ماجستير،ص03.

[5] -ركان الصفدي، ابن الرومي،الشاعر المجدد، ص74.

فقد شبه الشاعر التجار مثل الحيوانات ليس لها عقل مدبر،ولكن لها لسان لاذع في الكلام، فهم مراوغون ولكن بالرغم من ذلك كسبوا ودّ الناس إليهم،فهم يبدون للحمل الوديع ولكنها مجرد جعب فارغة همهم الوحيد السخرية والتلاعب بمشاعر الآخرين،فهم كمثل السّفيه في الكلام وطابع السخف يحوم على قلوبهم ويبدو الغدر على وجوههم، والحمقى بين ثنايا لسانهم،وعلى الرغم من ذلك فقد فازوا بودّ من أساؤوا إليهم.

ت- السخرية الثقافية:

لقد احتفى العرب بهذا الإنتاج الأدبي الهادف حيث صاحب الرسائل الفكرية، لذلك رأوا أن أقوى وأجمل ما هو بلا رسالة في عالم أتعبته الصرامة والقضايا الكبرى، والفن الساذج هذا إن كان بمقدورنا إدراك أنه أدب ،كما تبادر لهؤلاء الذين تتلمذوا بشكل سيء وغيرها في مدرسة الكتابة.

4- أساليب السخرية:

للسخرية أساليب كغيرها من الفنون ،نذكرها كالآتي:

01. **السخرية بالمحاكاة:** في المحاكاة يقوم الشخص الحاكي أو الساخر بتقليد الشخص، أو«المحكي عنه أو المسخور منه في أسلوبه أو في صوته، أو في حركاته»[1].
02. **السخرية عن طريق الصوت والحركة**: وتكون هذه السخرية عن طريق تلوين الصوت، وتنويع الحركات، «لون قديم من أنواع السخرية»[2].
03. **السخرية عن طريق التحامق**:ويكون التحامق الذي هو «إظهار الحماقة والبلاهة والغفلة»[3].
04. **التصوير المبالغ فيه**:ويقصد به الكاريكاتوري الذي هو«وضع الشخص في صورة مضحكة كالمبالغة في تصوير عضو من أعضاء الجسم»[4] .
05. **السخرية بالجمل :** ويقصد بها التعبيرات اللاذعة وهي «جمل تكون كالحكم السائرة أو المثل السائرة»[5].
06. **اللعب بالمعاني**:ومن أنواعه الكناية والتورية والتعريض.

---

[1] - سعيد أحمد غراب، السخرية في الشعر المصري في القرن العشرين،دار العلم والإيمان،د.ط، مصر،2010،ص60.

[2] - المرجع نفسه، ص63.

[3] - المرجع نفسه،ص64.

[4] - إيمان طبشي، النزعة الساخرة في قصص السعيد بوطاجين، رسالة لنيل شهادة الماستر،كلية الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة ، 2010-2011،ص22.

[5] - المرجع نفسه، ص25.

07. **المبالغة:** وهي تلك التي تستخدم كثيرا في التنكيت وهي «تعتمد على الإفراط في الوصف ، وتجسيم الصورة أو العيب المقصود»[1].

5- دوافع السخرية:

تعد دوافع السخرية من أهم البواعث للجوء إلى هذه الطريقة من البيان عند "الجواهري" فيما يلي:

- قد يكون الأسلوب الساخر انتقاما لما يتلقاه الشاعر من الإهانات والمذلات، فالسخرية تترجم حاجة روحية للمجتمع حيث يكون الشاعر بلا مبالاة، فيسحقه هذا الأخير بأن يسخر منه ويحتقره.
- يجعل بعض الشعراء السخرية من الآخرين والأشياء ،والظروف سلاحا حاد الحصوله على حقوقه المسلوبة على الأقل، كما هو عند الكثير من الشعراء مثل: بشار بن برد والحطيئة.
- يرى بعض من أدباء السخرية طريقة مناسبة لتنبيه الظالمين دون يخاطروا بأنفسهم مباشرة.
- قد يتخذ الشاعر السخرية أسلوبا يعوّض به ما يفتقده من الجمال الظاهري أو الفقر المادي، أو المكانة الاجتماعية ، لهذه الأسباب «تكون السخرية أكثر إفصاحا من الأساليب الأخرى»[2].
- المساهمة في رفع الروح المعنوية والثقة بالنفس بالاستعلاء على الخوف والقلق،والمواقف المحرجة والشعور بالتفوق والقدرة على الانتصار ،وتشكيك العدو في نفسه مواقفه فيما يسمى بالحرب النفسية.
- التخفيف من الآلام التي يعاني منها الناس في الحياة اليومية.
- تعد السخرية أسلوب فني لإزالة الضيق والهم من قلوب الناس،ورد خطر قائم على المجتمع، أو خطر متوقع عليه، فهو عمل إنساني شريف،لا يمثل بذلك رأي صاحبه فقط،وإنما الرأي العام للناس والمجتمع.
- قد يكون الأسلوب انتقاما لما يتلقاه الشاعر من الإهانات والمذلات،«فالسخرية تترجم حاجة روحية المجتمع ،يستحق الشاعر بلا مبالاته وانكاره فيسحقه الشاعر بأن يسخر منه ويحتقره»[1] .

---

[1] - حامد عبده الهول، السخرية في أدب المازني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط ، مصر، د.ت،ص43-44.

[2] - عبد الكريم مُقال البوغيش،السخرية في شعر محمد الجوهري، الجامعة الإسلامية، طهران، إيران،2010،ص02.

6- الهدف من السخرية:

تتسع السخرية لاستيعاب الأخطاء التي تتعثر بها في طريقها، قد ترتفع سدا بوجه اليأس الذي تصفعنا به المفارقات اللامعقولة في الحياة، فتمنحنا الشجاعة لمواجهة مصيرنا بأسلوب تهكمي فكه، نادرا ما يكون صادقا أو من الأعماق لكنه في الأغلب قائم الملامح موجع، من هذا تتراوح السخرية في وجهها الهازل مع الألم، فيأتي لوقعها صدى غريب،يمتزج فيه اليأس، والرجاء الدمعة بالضحكة،المأساة بالملهاة في خلط مذهل. فالسخرية رغم شكلها الهازل فهي« ذات وجه مأساوي ينطوي على فجيعة مدهشة إزاء لا معقوليات والخديعة في هذا العالم»[2] ، فتنطلق السخرية حينئذ تعويضا يعيد للمثل توازنها، وذلك ما يعبر«عن قهقهة عابثة، ينطلق دويها في ذروة الكشف العاري للحقائق، حيث يختلط الإحساس المفجع باللاهي وفق وتيرة ضحك مأساوي يختلف عن رنين الفرح»[3].

إن السخرية تسير في اتجاهين إيجابي بنّاء،وآخر سلبي هدّام،والهدم مرحلة حتمية في إعادة البناء،وأيّا كان اتجاهها وشكلها،فإن طعم القسوة هو نكهتها الخاصة، لكن هذه القسة ليست هي نفسها في كل مجالات السخرية، إذ تتفاوت درجة حدتها بحسب ما تقتضيه الظروف،فهي تبدأ بما يعرف بالغمز واللمز اللذين غالبا ما يردان في إطار من اللهو والظرف والضحك،كل هذا يبعدهما عن الإصابة المباشرة الجارحة،ويلطف وقعهما في النفس هذا الوقع الذي يستشف استشفافا ويتفاوت بين شخص وآخر بحسب ذكائه وإرهاف حسّه.ثم تقوى السخرية شيئا فشيئاً حتى «تصبح هوجاء مهمّشة،تنال من هدفها دون مواربة إذ لا تغفلها أجواء المرح،وعندها تسمى تهكّماً»[4].

إذًا فالسخرية نقد أو طعن مصوغ في ثوب فكه،«إنها بديل مقبول للعقاب وهجوم متعمد على شخص بهدف سلبه كل أسلحته وتعريته من كلّ ما يتخفى فيه ويتحصن وراءه»[5].

7-السخرية وفنون الأدب:

يتداخل مصطلح السخرية مع مصطلحات أخرى كثيرة تدخل ضمن الأدب الفكاهي كالهزل والنكتة،بل وأكثر من ذلك،فقد اعتبر أن عنصر الإضحاك شكل من أشكال الأدب الفكاهي.هل

---

[1] - أدونيس علي أحمد سعيد، مقدمة للشعر العربي، دار العودة، ط4، بيروت،1983، ص40.

[2] - عكاري سوزان، السخرية في مسرح أنطوان غندوز، المؤسسة الحديثة للكتاب، ط1، بيروت،1991، ص16.

[3] - المرجع نفسه، ص27.

[4] -المرجع نفسه،ص24-25.

[5] - بطيش سيمون،الفكاهة والسخرية في أدب مارون عبود،دار النشر للطباعة والتوزيع،الطبعة الأولى، بيروت،1983،ص17.

يمكن اعتبار عنصر الضحك مقياسا نضع من خلاله السخرية ضمن دائرة سائر فنون الأدب كالهجاء،والفكاهة؟

الفرق بين السخرية والتهكم:

إنّ كلمة المتهكم معناها«المقتحم على ما لا يعنيه الذي يتعرض للناس بشرّه...»[1] ، وقد «تهكَّمَ على الأمر وتَهَكَّمَ بنا: زرى علينا وعبث بنا، وتهكّم له وهَكَّمَهُ بمعنى غَنَاهُ، والتَّهكُّم:التّكبر، والمُتَهكِّمُ:المتكبر، وهو أيضاً الذي يتهدم عليه من الغيظ والحمق،وتَهَكَّمَ عليه إذا اشتدّ غضبه ،والتَّهكّم:التّبختر بّطّرًا،التَّهكُّمُ السّيل الذي لا يُطاقُ»[2].

فالتهكم يشترك مع السخرية في كونهما يدلان على الهزء والتكبر والشعور بالأفضلية أكثر من ذلك،فهو يمثل أقصى درجات السخرية.إنّ المتهكم يسعى لتصوير المتهكم به في أبشع المظاهر التي يمكن أن نتصوره فيها،«فالتهكم تدمير للذات وكيانها وهو أقسى من السخرية وأمر منها وأشدّ وقعا على النفس،والتهكم لون من السخرية»[3].

الفرق بين الفكاهة والسخرية:

إنّ الفكاهة من «فَكِهَ بمعنى الذي ينال من أعراض الناس وفكّههم يُلمَحُ الكلام:أطرفهم، والفَاكِهُ:المزاح ، والفُكاهة:المُزاح والتَّفاكُهُ، والمُفاكهة:الممازحة،والفَكِهُ:الطيّبُ النّفس، والتَّفَكُّهُ: التّنَدُّمُ»[4].

نلاحظ انطلاقا من المعنى المعجمي لكلمة(فَكِهَ) أنها مرادفها للمزاح والمداعبة،ينبعث منها الضحك يدخل السرور والبهجة في النفوس كونه سلوكا اجتماعيا ملازما،بل وضروريا لحياة الفرد والجماعة،وبالتالي فالفكاهة ظاهرة اجتماعية تستطيبها الجماعات،لأنها تقوم على فلسفة خاصة ورؤى تنبع من روح الأديب ونظرته الخاصة للوجود،فالضحك المنبعث منها ولا يستمرّ أكثر من لحظة قصيرة،وحالما ينطفئ يجد المتهكم نفسه من جديد أمام كون عبثا.

[1] - معوّض أبو عيسى،فتحي محمد،الفكاهة في الأدب العربي إلى نهاية القرن الثالث الهجري:دراسات ووثائق،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،د.ط،الجزائر،1980،ص34.

[2] - ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم،لسان العرب،دار صادر،د.ط،بيروت،1990،ص217.

[3] -سامية مشتوب،السخرية وتجلياتها الدلالية في القصة الجزائرية المعاصرة،ص10.

[4] - ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم،لسان العرب،ص424.

أما السخرية فليست لفظة تعادل لفظة الفكاهة،وإنْ كان وجود قاسم مشترك بين هاتين اللفظتين،وهو الإضحاك،ولكن يوجد فرق هام بينهما وهو:الغاية في الفكاهة هي الإضحاك لأجل الضحك فقط،ولكن السخرية وسيلة لأجل الوصول للغاية وليست هي الغاية.

الفرق بين الهجاء والسخرية:

يعدّ الهجاء موضوعا من مواضيع الشعر،غرضه تقبيح عمل فرد أو جماعة أو عادة من العادات أو مظهر من مظاهر الحياة،وهو تعبير عن احتكار الشاعر المهجو والرغبة في الحط من شأنه،والهجاء قديم قدم الإنسان نفسه،نشأ حين اصطدم الإنسان بواقع من الكراهية والاشمئزاز ،وقد نوّع الشعراء فيه على الترتيب التالي:

أ- **الهجاء الفردي:**وهو الهجاء الموجّه إلى فرد واحد نقَمَ عليه الشاعر.

ب-**الهجاء الخلقي:**وهو الهجاء الذي يتناول العيوب الجديّة فيُضخّمها بهدف السخرية.

ت-**الهجاء الخُلُقي:**وهو الهجاء الذي يتناول عرض المهجو.

ث-**الهجاء العفيف**:وهو الهجاء الذي يتناول عيوب المهجو بعيدا عن الفحش في القول أو تناول العِرْض.

ح-**هجاء التصريح:**وهو الهجاء الذي يتناول الشاعر المهجو تناولا مباشرا.

خ- **هجاء التعريض:** وهو الهجاء الذي يشير فيه الشاعر إلى المهجو بإشارات خفية.

ج- **الهجاء الجماعي:** وهو الهجاء الموجّه إلى جماعة من الناس لاشتراكهم في عادة أو عادات سيئة ،وقد تكون هذه الجماعة قبيلة أو خربا أو أهل بلد،وقد تتسع فتشمل أمة أو مجتمعا وهو بهذا من أهم الأغراض الشعرية لأن الأديب في موقفه هذا ليس شاعرا مغرقا في خياله ورغباته وأحاسيسه الفردية فقط،بل هو «ناقد مصلح يهتم بحياة الناس،يرغب في تجميلها ويعمل لتغيير مناهجها الفاسدة»[1].

كما نرى أنّ السخرية لون من الهجاء ولكن بفارق وهو أن للهجاء لسانا حادًّا، ومُرًّا،وبالتالي الصراحة ليست موجودة في السخرية كما في الهجاء،هذا من جهة،ومن جهة أخرى الغاية في السخرية هي الاستهزاء من شخص في حالة جعل الشخص أضحوكة للآخرين مع الإستحقار.

8- أشكال السخرية والفكاهة العباسية:

[1] -ناظم رشيد،الأدب العربي في العصر العباسي،دار الكتب للنشر والتوزيع،د.ط،الموصل،1989،ص37.

يبدو أنّ مظاهر السخرية والفكاهة العباسية كثيرة،ومن بين المظاهر التي يمكن الوقوف عليها خمسة كالتالي:

1) **الغفلة والتغافل:**

إنّ الغافل إنسان فقد نعمة الذكاء،فهي سبب في تصرفات تتسم بالغباء،وخطأ في الحكم على الأشياء،وكأنه يتصور الأشياء مقلوبة ويتعامل مع الواقع حسب قدراته، والأسوأ من ذلك أن يظن الغافل نفسه ذكيا،فيزداد منه الضحك،لأنه يتصرف بشكل مفاجئ للمتوقع،ويتمثل فيه خلل المنطق وغرابة تفسير الأشياء.

أما المتغافل فهو يدعي الغفلة لأسباب كثيرة منها السخرية بالآخرين،أو إيجاد الفرصة لانتقاد المواقف والحكّام،وخاصة ذوي السلطة والولاة والخلفاء،وبالأخص أيضا عندما يكون هؤلاء من الحكام الطغاة الظالمين الذي لا يقبلون اعتراضا أو رفضا لقرارتهم، فليس من طريقة لهم إلا بنقدها والتعليق عليها أو السخرية منها تلميحا وتعريضا،ولعل بعضا منهم يفعل ذلك لإضحاك الآخرين،أو الحصول من الولاة على العطاء ولذلك يسمى أحيانا تجاهل العارف،فهو عاقل ذكي يخادع الآخرين لأسباب عديدة نفسية أو اجتماعية أو سياسية.

وتأتي الغفلة بأفكار تعد خليطا عجيبا ،من ذلك مثلا ما يورده الجاحظ في البيان والتبيين عن قصة الرجل الذي سئل عن مولده،«فقال:ولدت في رأس الهلال للنصف من شهر رمضان،احسب أنت الآن كيف شئت»[1].

أما أبو دحيّة القاص فقد قال يوما:«كان اسم الذئب الذي أكل يوسف كذا،فقالوا له:إنّ يوسف لم يأكله الذّئب!قال:فهذا الذئب الذي لم يأكل يوسف»[2].وهذا مثال لفقيه غافل يشبه الحوار الذي دار بين اثنين يقول الأول منهما واسمه عيّاش لأبي عبد الملك:«بأيّ شيء تزعمون أنّ أبا علي الأسواري أفضل من سلاّم أبي المنذر؟قال:لأنه لما مات سلام في جنازته»[3].

2) **التلاعب بالألفاظ والمعاني:**

[1] - الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب،ت:255ه،البيان والتبيين،تحقيق:عبد السلام هارون،دار الجيل،الطبعة الثانية،بيروت،د.ت،ص19.

[2] - ابن عبد ربه أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي،ت:327ه،العقد الفريد،تحقيق:محمد سعيد العريان،دار الفكر،الطبعة الأولى،بيروت،د.ت،ص168.

[3] - الجاحظ أبو عمرو بن بحر بن بمحبوب،البيان والتبيين،تحقيق:عبد السلام هارون،ص234.

يعمد بعض الأدباء إلى عكس الألفاظ أو استخدام لفظ قريب ليوهم السامع بمعنى جديد يريده سخرية أو إضحاكا،فهو هنا يتلاعب بالألفاظ،فيجد في اللغة اتساعا واضحا من خلال الإشتراك اللفظي أو الجناس أو الطباق،أو أساليب التورية والكناية،مما يوصل إلى ما يمكن أن يسمى الأسلوب الرمزي في السخرية والفكاهة بالآخرين،فهي في مجملها أساليب ترتبط ارتباطا واضحا باللغة،وطريقة توصيل الفكرة،كأن يختصر العبارة أو يضيف إليها،أو يبدّل الكلمات المكوّنة لها أو ينحت بعض ألفاظها أو يبعث بإعجامها.

فمن ذلك أنّ **ابن الرومي** «كان يتطيّر بالأسماء،ويتشاءم بالألفاظ ،ويقارنها مع الأجل والموت،ويظنها دليلا على الفقر وسوء الحظ،فان **الأخفش** مولعاً بفكاهته فيقرع عليه الباب صباحا،فإذا سأل:من بالباب؟قال له:**مرة بن حنظلة**،أو نحو ذلك من الأسماء التي يتطير بها،فيحبس ابن الرومي نفسه في بيته،ولا يخرج يومه كله»[1]. وهذا يمثل شريحة من المجتمع تقتنع بالطيرة وتتشاءم بالأسماء.

وتكاد مناظرة **الهمذاني للخوارزمي** تتحوّل إلى معرض لغوي للتلاعب بالألفاظ والمعاني بما تحمله من أسجاع ومحسنات بديعية،مما طبع المناظرة بطابع فكاهي مضحك تميز فيه الهمذاني بروحه المتعالية الفكهة،وانتصر على أبي بكر بقدرته اللغوية البارعة،حتى طالبه أن يكتب كتابا إذا فسّر على وجه كان مدحاً،وإذا فسّر على وجه كان ذمًّا،أو كتابا يخلو من الألف واللام،أو كتابا أوائل سطوره كلها ميم وآخرها جيم،بل كتابا إذا قرئ من أوله إلى آخره كان كتابا،فإن عكست سطوره مخالفة كان جواباً.

وقد دخل **أبو علقمة** دكان بائع الجِرَار في الكوفة،فقال:«أجد عندك جرّة لا فقراء،ولا مطربلة الجوانب،ولتكن نَجْوية خضراء،قد خفّ حملها،وأتعبت صانعها،قد مستها النار بألسنتها،إنْ نَقَرْتها طنّت،وإن أصابتها الريح وَنّت،فرفع صاحب الجرار رأسه إليه،ثم قال له:النفس بكور الجروان،أحر وجّكى والدَّقْس باني،والطبرلي شك لك بك،ثم صاح:يا غلام شرّج،ثم درب،وإلى الوالي فقرْب،أيها الناس من بُلِي بمثل ما نحن فيه؟»[2] .

فالبائع قد أجاب على **أبي علقمة** بكلام غريب،ليجعل السامع القارئ في حيرة ودهشة لفترة من الزمن،وكأن السامع يحاول فهم المعنى ثم ينتبه أنه يجمع ألفاظا لا معنى لها،فينفجر ضاحكا لما فيها من اللمز والغمز.

---

[1] -ابن عبد ربه أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي،ت:327هـ،العقد الفريد،تحقيق:محمد سعيد العريان، ص04.

[2] - ابن الجوزي عبد الرحمان بن علي بن محمد بن علي جمال الدين،ت:597هـ،أخبار الحمقى والمغفلين من الفقهاء والمفسرين والرواة، والمحدثين،والمتأدبين والكتّاب والمعلمين والتجار والمتسببين،وطوائف تتصل للغفلة بسبب متين، تحقيق:محمد شريف سكر،دار إحيار العلوم،الطبعة الأولى،بيروت،1988،ص163.

3) الدُّعابة:

تعد لونا من ألوان المزاح الخفيف،يعمد إليه الأصدقاء أحيانا ،أي أنه يحمل روح التبادل الاجتماعي مما يجلب المسرّة والضحك،فيعمدون فيها إلى الصور الساخرة المضحكة،وكان الجاحظ ميّالا للدعابة بطبعه بعابث الآخرين ويمازحهم.ولا يترك أبو دلامة الدعابة حتى في مواقف الموت،فعندما حضر مع الخليفة المنصور جنازة بنت عم الخليفة حمادة بنت عيسى،وقف على حفرتها،وقال الخليفة:«يا أبا دلامة،ما أعددت لهذه الحفرة؟قال:بنت عمك يا أمير المؤمنين،حمادة بنت عيسى يجاء بها الساعة،فتدفن فيها،فضحك المنصور حتى غلب،فستر وجهه»[1] .ولعلها محاولة حقيقية للهروب من التفكير في الموت أكثر من أن تكون مداعبة.

4) التخلّص:

يحتاج للخروج من المواقف المحرجة إلى سرعة البديهة،والذكاء والقدرة على الرد بالمثل حيث يجابه الشخص المتهكم بعكس ما كان يتوقعه ،فيسقط في يده ويكون على غير ما أراد من إضحاك الآخرين بخصمه،بل يكون الجواب مسكتا أو أكثر إضحاكا ،لأنه اعتمد على سرعة الخاطر والمقدرة البيانية على الرد المناسب ،والتخلص الفكه من الموقف ،مما يبعث على الضحك.

فقد يخطئ الإنسان في قوله،فيشعر بالحرج الشديد،فلا يجد حلاًّ إلى أن يباغت السامعين بجواب غريب يتخلص به من الموقف،يروي الجاحظ عن ابن ضحيان الأزديّ أنه كان يقرأ خطأ:قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما لا تعبدون،فقيل له:إنما هي «قل يا أيها الكافرون»[2] ،قال:«قد عرفت القراءة في ذلك،ولكني لا أُجِلُّ أمر الكفار!»[3] .

5) التهكّم:

إنّ التهكم هو السخرية التي تمتلئ بالمرارة والأسى،وتحمل أحيانا ألوان السخرية الفكهة، الضاحكة الناقدة التي تهدف للإصلاح ،وتتقدم في مرات كثيرة نحو استخدام أسلوب التصوير المبالغ فيه-الكاريكاتوري-،وهو وضع الشخص في صور مضحكة كالمبالغة في وصف عضو من أعضائه ،ومحاولة تشويهه بالتهكم من ضخامة جسمه أو

---

[1] - الأصفهاني أبو الفرج علي بن الحسين،ت:356هـ،الأغاني،تحقيق:علي السباعي،عبد الكريم إبراهيم العزباوي،ص262.

[2] -سورة الكافرون،الآية:01.

[3] - الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب ،ت:255هـ،البيان والتبيين،تحقيق:عبد السلام هارون، ص20.

نحافته،وقصر القامة أو طولها،وملامح الوجه كالأنف والفم وغيرها،فهذا ابن المقفع يسخر من سفيان بن معاوية،وكان أنفه كبيرا،فيروى عنه أنه كان إذا دخل عليه قال:«السلام عليكما،يعني بذلك سفيان وأنفه»[1].

ويروي الجاحظ نادرة عن نفسه عندما يسقط الذّباب على أنفه في قصة لطيفة ظريفة،يلح الذّباب حتى يركض شوطا كاملا هربا منه،قال:«لم أتكلف مثله منذ كنت صبيا،فتلقاني الأندلسي،فقال لي:مالك يا أبا عثمان!هل من حادثة؟قلت:نعم،أكبر الحوادث،أريد أن أخرج من موضع للّذبان عليّ فيه سلطان!فضحك حتى جلس»[2] ،لقد جلس صاحبه أرضًا من شدّة الضحك،ولنا أن نتصور منظر الجاحظ،وقد احمرّ وجهه وتعرّق،وظهر عليه الضيق والتعب،ولعله ما زال يتلفت وراءه،وكأنه لا يصدق ابتعاده ونجاته من الذباب،فهي تهكم طريف وضاحك،يهدف للمتعة والترويح.

أما تهكم الشخص بنفسه،فهي من أكثرها إثارة للضحك،وكأنها محاولة للتنفيس عن واقع مرير،وتعبير عن التشاؤم من انتشار النفاق والبخل،والتفاوت الطبقي،فيلجأ للفكاهة ليخفف من وطأة الألم الذي يشعر به،ويأتي التهكم بالنفس للإضحاك أحيانا.ويكون الهدف أحيانا أخرى محاولة الحصول على خير يريده أو السخرية من أشياء أخرى في الحياة تحول بينه وبين ما يريد،خاصة إذا كان ذكيا صاحب موهبة،ولكنه محروم بسبب الأنظمة الفاسدة،فيقصد من خلالها التهكم السياسي بأنظمة الحكم وتنازع الخلفاء والوزراء وانحرافاتهم التي تنعكس على المجتمع بانتشار الظلم والمحاباة في الحكم والعطاء.

9- أشهر أدباء السخرية والفكاهة في العصر العباسي:

لقد عرف العصر العباسي الكثير من أدباء وكتاب السخرية،ونذكر أبرزهم:

أ* الجاحظ (ت:150-255هـ):

[1] -ابن خلكان أحمد بن محمد بن إبراهيم،ت:681هـ،وفيات الأعيان،تحقيق:إحسان عباس،دار الثقافة، د.ط،بيروت،1968،ص153.

[2] -الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب،ت:255هـ،الحيوان، تحقيق:عبد السلام هارون، دار الجيل،الطبعة السادسة، بيروت،1996،ص346.

هو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني البصري المعتزلي ،يقال له:«الجاحظ والحدقي لجحوظ عينيه وبروز حدقتيه»[1] ، وكان من«الذكاء وسرعة الخاطر والحفظ بحيث شاع ذكره،وعلا قدره واستغنى عن الوصف»[2] .

وللجاحظ كتب كثيرة مشهورة (في نصرة الدين)،وفي (حكاية مذهب المخالفين)، و(الآداب والأخلاق)، وفي (ضروب من الجد والهزل)،وقد تداولها الناس وقرؤوها وعرفوا فضلها، وأشهر هذه الكتب(البيان والتبيين)،(والحيوان)،و(البخلاء)،و(التربيع والتدوير) وغيرها، مما وصل إلينا، وهي تحتوي عناوين كبيرة،ويندرج تحتها سائر ما أثبته الجاحظ من آيات وأحاديث، أو آثار قديمة ، أو أمثال قديمة.

فقد تحلى الجاحظ بنفسية مرحة غطى بها على منظره وملامحه،وكان متعشقا للنادرة اللطيفة، حتى لو كانت على نفسه،فيذكرها ويوثقها، قال :«ذُكرت لأمير المؤمنين المتوكل لتأديب بعض ولده،فلما نظر إليّ استبشع منظري وأمر لي بعشرة آلاف درهم وصرفني»[3].
فتجمعت أسباب عديدة أثرت في توجه الجاحظ نحو الفكاهة والسخرية،منها الحياة المضطربة التي عاشها في الفقر والحاجة، ومنها حياته في البصرة التي امتلأت بثقافات متنوعة، ومنها تأثره بالمعتزلة في استخدام العقل،والمنطق،والحجة،والبرهان، فهو يملك الذكاء الرفيع الذي يستطيع من خلاله رؤية أدق الأشياء ونقدها والاعتراض عليها بالأساليب المختلفة.

لقد تنبه الجاحظ إلى الجانب الاجتماعي في الضحك،وأنه يزداد ويعلو في جمع من الناس،ويرتفع من درجة الابتسام إلى الضحك والقهقهة،وينتقل بالعدوى بين الناس،فالضاحك يحتاج لمن يشاركه، ويجاوبه مما يزيل العزلة ويخفف الكآبة، يقول الجاحظ في نهاية قصته مع صديقه (محفوظ النقّاش):«فما ضحكت قط كضحكي تلك الليلة،وقد أكلته جميعا ،فما هضمه إلا الضحك والنشاط والسرور فيما أظن، ولو كان معي من يفهم طيب ما تكلم به لأتى عليّ الضحك أو لقضى عليّ، ولكن ضحك من كان وحده لا يكون على شطر مشاركة الأصحاب»[4]
فهو يؤكد أنه هضم ما أكله بسرعة بسبب الضحك والنشاط والانشراح الذي رافقه، فلابد أن الحال سيكون أعظم سرورا وضحكا بحضور الأصدقاء.

---

[1] - ابن خلكان أحمد بن محمد بن إبراهيم، (ت:681هـ)،وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان،تحقيق: إحسان عباس،دار الثقافة،د.ط،بيروت،1968،ص471.

[2] - ياقوت الحموي الرومي،(ت:626هـ)،معجم الأدباء،إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق:إحسان عباس، دار الفكر الإسلامي،ط1، بيروت،1993،ص2101.

[3] - أبو الطيب الوشاء،محمد بن أحمد بن إسحاق بن يحيى،(ت:325هـ)،الظرف والظرفاء،الموشى،شرح:عبد القادر الأمير علي مهنا،دار الفكر اللبناني،ط1، بيروت،1990،ص200.

[4] - الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ،(ت:255هـ)،البخلاء،تحقيق:طه الحاجري،دار المعارف،ط5، مصر،1976،ص124.

كما جذبت ظاهرة البخل والبخلاء اهتمام الجاحظ، حيث رصد هذه الظاهرة بعين الفنان الذكي اللماح،وبيّن خطرها على المجتمع، فهو يقول:«البخل والجبن غريزة واحدة يجمعهما سوء الظن بالله، والبخل يهدم مباني الشرف»[1]؛فهو يؤكد في كل مناسبة أن البخل مدخل للرذائل ومقدمة للنقائض الأخرى،وهو عنده نقيض الكرم، أما الكرم فهو مقدمة للفضائل الأخرى، وهو صفة العربي المحببة التي يفخر بها على الفرس والعجم.

وقد تأثر الجاحظ من بعده الكثيرون من الأدباء كابن الوشاء،وابن الحبيب،وابن الجوزي،والتوحيدي،وابن قتيبة،والهمذاني،وابن عبد ربه وغيرهم.

أما في الأدب الحديث ،فقد تأثر به المازني وتوفيق الحكيم،وعبد العزيز البشري الذي كانت سخريته في دقتها، وعنايتها بالتفصيل ،وتركيزها على مواطن النقد أشبه به، فهو من أكثر الساخرين تأثرا بالجاحظ وإعجابا بأسلوبه.حيث قال:«إن الجانب الفكاهي في أسلوب الجاحظ، ليصور لنا مبلغ قدرة الرجل الفائقة على التهكم، كلما أراد أن يسخر، وكلما شاء أن تحز نقداته في القلوب، ولست أعلم هناك كاتبا مثله، استطاع أن يبلغ هذه الجودة الفائقة على التهكم ،كلما أراد أن يسخر ،وكلما أراد أن تحزّ نقداته في الرّقاب»[2].

[1] - الحصري أبو إسحاق إبراهيم بن علي القيرواني،(ت:453ه)،زهر الآداب وثمر الألباب، ضبط و شرح: يوسف علي طويل،دار الكتب العلمية،ط1،بيروت،1997،ص383.

[2] - حامد عبده الهول،السخرية في أدب المازني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط ، القاهرة،1982، ص112.

ب* أبو العيناء:

هو« أبو عبد الله محمد بن القاسم أبو العيناء، صاحب النوادر في الشعر والأدب، وقد أصيب بالعمى بعد أن تجاوز الأربعين»[1] .جالس الخلفاء والوزراء ،فكان جريئا لا يخاف في الحق لائم،ولا يهاب جبروت متجبر،فقد كان يقول كلمة الحق ويدافع عنها ولا يبالي، وكان فصيحا سريع ،ويهتم بالنادرة والطرفة عارفا بأهميتها ودورها في المجتمع العباسي،فقد كان يوصي روايته الصولي، حيث يقول:«يا بنيّ إذا أردت أن تكون صدرا في المجالس فعليك بالفقه، ومعاني القرآن ،وإذا أردت أن تكون منادما للخلفاء،وذوي المروءة،فعليك بنتف الأشعار،وملح الأخبار»[2]

فقد ترك أبو العيناء أدبا ساخرا يتمثل في جانبين:الأول أخباره ونوادره ومواقفه الطريقة التي تحمل السخرية والدعابة والخدع والمكر، يظهر فيها سرعة جوابه وفصاحته،وردوده الساخرة،ونقده اللاذع للواقع الاجتماعي والسياسي الذي يراه، فقد قيل له:«ما أبلغ الكلام؟ فقال:ما أسكت المبطل، وحبر المحق»[3].

ويعد بعض الباحثين (أبا العيناء) مثالا للأديب المتلبس يتوسل للخلفاء والأغنياء، لكنه لا يتوسل كالضعفاء والمساكين وإنما يطلب بجرأة وكأنه يأخذ حقّا من حقوقه في أيديهم ، ومن أسلوبه في الحصول على المال دخوله على الوزير أبي صقر بعدما تأخر عنه،فقال:«ما أخرك عنّا؟ فقال: سرق حماري،فقال:وكيف تسرق ،فقال: لم أكن مع اللص فأخبرك؟ قال: فلم لم تأتنا على غيره،قال: فعد بي عن الشراء قلة يساري،وكرهت ذلّة المُكاري، ومنّة العواري»[4]. فهو اعتذار مسجوع لطيف يبين فيه قلة ذات يده عن الشراء،وكراهيته أو أن يمنّ عليه أحد بالإعارة، فكأنه يعرّض بحاجته للمال دون طلب.

ولعل من أهم توريات أبي العيناء الخفية التي يسخر فيها من تصرفات بعض الأمراء،وأسلوبهم في ظلم الناس ما قاله عند الخليفة عن أمير اسمه موسى تولى أمر القبض على أحد الأغنياء،ومصادرة أمواله فمات الغنيّ من شدة الضرب على يد الأمير، فلما سئل أبو العيناء عن الرجل،قال:«فوكزه موسى فقضى عليه»[5] ، فبلغت كلمته موسى، فلقيه فتهدده، فقال أبو

---

[1] - الحموي ياقوت الرومي،(ت:626ه)،معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب،ج6،تحقيق:إحسان عباس، دار الفكر الإسلامي،ط1،بيروت،1993،ص2104.

[2] - ابن الجوزي عبد الرحمان بن علي بن محمد بن علي جمال الدين،(ت:597ه)،المنتظم في تاريخ الملوك والأمم،ج5،حيدر آباد،د.ط،الهند،د.ت،ص160.

[3] - الحصري أبو إسحاق إبراهيم بن علي القيرواني،(ت:453ه)،زهر الأداب وثمر الألباب،ج2، ضبط وشرح:يوسف علي طويل،دار الكتب العلمية،بيروت،1997،ص188.

[4] - الحصري أبو إسحاق إبراهيم بن علي القيرواني،(ت:453ه)، زهر الأداب وثمر الألباب،ج1، ضبط وشرح:يوسف علي طويل،دار الكتب العلمية،بيروت،،1997ص264.

[5] -سورة القصص،الآية:15.

العيناء:«أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس»[1] ، فهو« يصرّ على توجيه سهامه الساخرة له، وكشف جريمته للخليفة وفضحه أمام الناس»[2].

أما الجانب الثاني من أدبه فهو يتمثل في رسائله التي بقي منها اثنان وعشرون رسالة، بعضها إخوانية وأخرى للتهنئة،وبعضها رسائل في الهجاء لكن الرسائل الرمزية هي تقدم صورة الأديب،والناقد الساخر الذي شغل الناس وأخاف الولاة والخلفاء وأرهب الخصوم.

ومن رسالته الرمزية إلى أحد الولاة ينصحه فيها أن يكون جرذا يخون ويسرق ،تعريضا بالولاة اللذين يغتنمون فرصة الولاية للسطو والنهب ويعدون ذلك فطنة وذكاء.فيقول:«واعلم أن الخيانة فطنة،والأمانة خرق،والجمع كيس،والمتع صرامة،وليست كل يوم ولاية، فاذكر أيام العطلة ،ولا تحقرن صغيرا، فمن الذود إبل ،والولاية رقدة، فتنبه قبل تُنبّه»[3]. فهو يشير بذلك للرشوة والظلم في جهاز الدولة،ويحرض الخليفة على مصادرة ما استلبوه من أموال الطائلة.

[1] - سورة القصص،الآية:19.

[2] - الحصري أبو إسحاق إبراهيم بن علي القيرواني،(ت:453هـ)، زهر الأداب وثمر الألباب،ج1، ضبط وشرح:يوسف علي طويل،ص265.

[3] - الآبي أبو سعد منصور بن الحسين،(ت:421هـ)،نثر الدر،تحقيق:محمد علي قرنة،الهيئة المصرية العامة للكتاب،د.ط، القاهرة،د.ت،ص151.

ت* أبو حيان التوحيدي:(414-310هـ):

- التوحيدي (ت:310-414هـ):

هو «أبو حيان علي بن محمد بن العباس التوحيدي، كان عارفا بالفلسفة،وعلم الكلام والمنطق، كما كان بحرا في جميع العلوم من النحو ،واللغة والشعر والأدب والفقه والكلام»[1]، تميز بأسلوبه الفصيح العالي لكنه كان يحتذي أسلوب الجاحظ إليه من ثقافته الفلسفية.

كانت نفسية التوحيدي ربما تمتلئ بالحقد على المجتمع، فهو«زمان فاسد المزاج أبيّ الخير معدوم الفضل قليل النصر،بعيد المتعطف»[2] .لقد عاش على ما يبدو محروما يائسا وتعرض لإخفاقات كثيرة ،فأحرق كتبه في آخر عمره لقلة جدواها ،ففي رسالة للقاضي أبي سهل علي بن محمد يعتذر عن حرقه كتبه، محتجا بفساد الزمان«فهو زمان تدمع له العين حزنا وأسى ويتقطع عليه القلب غيضا وجوى،وشجى»[3] .

كما تمتع التوحيدي بالشجاعة والصراحة والمجاهرة برأيه في الناس ،وكان يملك روحا نقدية ممتازة ،وذلك أنه لم يكن يتهيب الحكام والوزراء،ولا يحرص على إرضائهم ،فقد وجد من السخرية والفكاهة وسيلة ناجعة لإنكار الواقع المرير.فالفكاهة عنده طريقة للتنفيس عن بلامه فيسميه (زكرياء إبراهيم)بفيلسوف الفكاهة، فقد مزج التوحيدي الجد بالهزل لئلا يمل القارئ ودعا إلى سماع الهزل،قائلا:«فإنك لو أضربت عنه جملة لنقص فهمك، وتبلّد طبعك ،ولا يفتق العق شيء كتصفح أمور الدنيا،ومعرفة خيرها وشرها،وعلانيتها وسرّها ،يقول بعدها:فإنك متى لم تذق نفسك فرح الهزل كربها عمّ الجد»[4] .

لقد سخر التوحيدي من البخل والبخلاء وأفعالهم، وانتقد معايبهم رافضا تعاملهم مع الضيف بطرق ملتوية للتخلص من أقل الواجب نحوه شحا وبخلا،كتقديم المال أو الطعام،وعاب مفاهيمهم المهكوسة وطريقة تفكيرهم التي تحاجج عن البخل ونفتخر به.

---

[1] - ياقوت الحموي الرومي، (ت:626هـ)، معجم الأدباء،إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق:إحسان عباس، دار الفكر الإسلامي، ط1، بيروت ،1993،ص1924.

[2] - التوحيدي أبو حيان علي بن محمد بن العباس،(ت:414هـ)،البصائر والذخائر،ج3، تحقيق:ودار القاضي، دار صادر، ط1، بيروت،1964، ص162.

[3] - الكيلاني إبراهيم، رسائل أبي حيان التوحيدي:مصدرة بدراسة عن حياته وآثاره وأدبه، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، د.ط، دمشق، د.ت، ص411.

[4] - التوحيدي أبو حيان علي بن محمد بن العباس،(ت:414هـ)، البصائر والذخائر، تحقيق: ودار القاضي ، ص66.

أما عن مظاهر السخرية لديه ،والتي وصلت حد الهجاء والذم من الوزيرين بن العميد والصاحب ،فهي تتمثل في كتابه: مثالب الوزيرين، ذلك أنه صبها من شعور عميق بالمرارة لما كان عليه من حرمان وفقر رغم ما يملكه من معرفة ،ولأنه كان يرى الناقصين الجهلاء يحصلون على ما أرادوا أينما العلماء الفضلاء لا يدركون أقل المنى.

لقد تنوعت سخريته من الصاحب ،فقد تعلقت بسلوكه في مجلسه مع من يخدمونه أو مع ضيوفه والاستهزاء بأسلوبه في السجع ،وكثرته في كلامه ،والتهكم بادعائه العلم، فمن ذلك سخريته من سجع الصاحب في قوله لقير وزان المجوسي بعد خلاف بينهما:«إنما أنت مخش مجش محش،لا يهش ولا ينش ولا يمتش، فقال له القيروزان:أيها الصاحب برئه من النار إن كنت تدري ما تقول!والله ما هذا من لغة آبائك الفرس ولا لغة أهل دينك من هذا السواد، فقد خالطنا الناس فما سمعنا منهم هذا النمط ،وإني أظن أنك لو دعوت الله بهذا الكلام لما أجابك،ولو سألته لما أعطاك،ولو استغفرت الله ما غفر لك، وحقيق على الله ذلك»[1]. إنها سخرية لاذعة تبعث على الضحك ،ولعل فيها شيئا من المبالغة ليجعله موضعا للهزء والسخرية والضحك،كما استمر التوحيدي في شكوى الزمان والسخرية من حقارة الأدباء المغرورين،فحياته لاشك أنها تصور مأساة الإنسان الذي يشعر بالغربة عن نفسه، فهو يصارع بتمرد واضح ليحفظ للأدب حلاوته،وللنثر بهاءه،ويشكو انقلاب العهود،وانتشار الفحشاء،وفساد العلماء،وفشو الجهل وظهور الغيّ.

[1] - التوحيدي أبو حيان علي بن محمد بن العباس،(ت:414هـ)،مثالب الوزيرين،تحقيق:إبراهيم الكيلاني،دار الفكر، د.ط،دمشق،1961،ص74.

ث* بديع الزمان الهمذاني :(ت:358-398هـ):

بديع الزمان هو« أحمد بن الحسين بن يحيى سعيد الهمذاني الكاتب المترسل ،والشاعر المجيد، قدوة الحريري ، وقريع الخوارزمي،ووارث مكانته»[1]. ظهر البديع في عصر مشحون بالفوضى في الحكم ومنافسة وصراع على المال مما أدى إلى خلق طبقة وسطى في المجتمع،فقد كان الهمذاني في ظلها محبا للمغامرة طامعا للثروة المادية،والتميز عن غيره ممن سبقوه من الأدباء كابن المقفع،وابن قتيبة،والجاحظ،والمبرد والوشاء، حيث نجح في ذلك وساعدته روح العصر من كثرة النوادر والأقاصيص،والحكايات والفكاهات، وله أقوال قصيرة مسجوعة تدل على خبرة واسعة في الحياة ومعرفة بواقع المجتمع الذي يحيا فيه،وله بعض الكنايات اللطيفة التي تدل على خفة الروح، والنقد الماكر لمشاكل المجتمع،منها أنه رأى رجلا قادما يوصف بأنه بارد ثقيل،فقال:قد أقبل ليل النساء»[2]. وبهذه الروح الناقدة المرحة ظهرت مقامات الهمذاني أو مقامات الكدية.

لعل الجاحظ ومن قبله«قد مهد لها بما كتبه في الكدية،وتطور فيما بعد إلى هذا الفن القصصي الفريد من نوعه لدى الهمذاني والحريري في أبرع صورة»[3].

لقد أثبت البديع الألوان الفكاهية والصور الهزلية لأبطال مقاماته،واستخدام الفن القصصي الذي يطور الأحداث لتصل إلى مرحلة من التعقيد ثم تتجلى عن حل مفاجئ فكاهي ضاحك على يد بطلها الوحيد زهز أديب يحتال على الناس ببيانه العذب، ويقدم لهم المتعة والطرفة،ويرسم البهجة على وجوههم ،لكنه يستخرج ما في جيوبهم ،وللبديع رسائل كثيرة في التغرية والصداقة وبعضها يشكو غلاء الأسعار،ويدعو إلى إزالة الظلم الذي وقع على الناس فتركهم ضعفاء لا يجدون القوت ولا يقدرون على أداء العبادات، فيظهر من خلالها تتبعه لأحوال المجتمع وفساده، ينقل الثعالبي رسالة له لابن فارس،والشيخ يقول: قدفسد الزمان،أفلا يقول: متى كان

[1] - عبد الحميد محمد محي الدين،شرح مقامات بديع الزمان الهمذاني،أبو الفضل أحمد بن الحسين،بديع الزمان الهمذاني،(ت:398هـ)،مكتبة محمد علي صبيح،ط2،القاهرة،1962،ص07.

[2] - أبو منصور الثعالبي عبد المالك بن محمد بن إسماعيل،ت:429هـ،الكناية والتعريض،تحقيق:أسامة البحيري، مكتبة الخانجي، ط1،القاهرة ،1997، ص90.

[3] - سعد فاروق، مع بخلاء الجاحظ،دراسة تحليلية مقارنة ،دار الآفاق الجديدة،ط6،بيروت،1992،ص18.

صالحا؟ في الدولة العباسية،فقد رأينا آخرها وسمعنا بأولها،ويستمر بعدها في التساؤل عن هذا الصلاح متى كان،في الفترة الأموية أم الراشدية ،أم الجاهلية،أم عهد عاد أم في عهد آدم عليه السلام،....وعليه،ففي قوله تعالى:(أتجعل من يفسد فيها)، فهي حكمة ساخرة يقصد منها الإشارة إلى أن الفساد من أصل في الطبيعة البشرية منذ أن وجدت على الأرض،وهو ضرورة لإظهار الصلاح كالصباح والمساء.

أما مناظرته مع الخوارزمي ،فهناك شواهد كثيرة على روح الفكاهة عنده، مستخدما أساليب البديع من سجع وجناس وطباق ومقابلة،ولكنها تصل إلى درجة الهجاء المقدع،والشتم المباشر، كما امتد تأثير الهمذاني فيمن بعده من أصحاب المقامات من أشهرهم الحريري،والسيوكي، وامتد أثره إلى الأندلس العربية فنسج على منوالها ابن شهيد وأبو الحزم وابن المغيرة.

أولا:التعريف بالمؤلِف والمُؤلَّف:

01. التعريف بالجاحظ:(ت:159-225هـ/775-869م):

هو عمرو بن بحر بن محبوب الكناني،لُقّب بالجاحظ لجحوظ عينيه، وكُنّي بأبي عثمان، وُلد في البصرة،وتوفي والده وهو صغير،فنشأ فقيراً يبيع الخبز والسمك في سيحان بالبصرة،ولعلّه أفاد من هذه التجارة ما أغناه بعض الشيء،فانصرف في مجالسة العلماء ويسمع من العرب الخُلّص في المربد،فتلقّى عن الخطباء أساليب التعبير،وتردد إلى مجالس الأدباء يسمع لهم ويأخذ عنهم.

توجّه إلى بغداد واتصل بشيوخها وأئمتها وعلمائها،فضلاً عن زاد وافر من الثقافة مما نُقل عن الأعاجم،وخاصة اليونان،ما جعله يجمع بين ثقافتين عربية تعتمد على القرآن والحديث ولومهما إلى جانب الشعر والخطابة،وأعجمية يونانية وشرقية تتمثل في لوم الفرس والهند،«فألمّ بمختلف فروع المعرفة من الأدب والفلسفة والتاريخ وعلوم الطبيعة والرياضيات والأديان ومتفرعاتها حتى غدا بثقافته الموسوعية دائرة معارف حيّة»[1].

طلبه الخليفة المأمون وولاّه ديوان الرسائل،إلاّ أنه استعفى بعد ثلاثة أيام،اتصل بابن الزيات وزير الخليفة المعتصم فلازمه له **كتاب الحيوان**،فأعطاه خمسة آلاف دينار،وفعل الشيء نفسه في عهد المتوكل إذ اتصل بالقاضي أحمد بن أبي دؤاد،وقدّم له **كتاب البيان والتبيين**.«قام الجاحظ بعدة رحلات إلى دمشق وأنطاكية،وقيل إلى مصر ،فوسعت الرحلات آفاق ثقافته وإطلاعه.أصيب بداءي الفالج والنقرس،فترك بغداد إلى سامرّاء،ثم رجع إلى البصرة ليلزم منزله حتى مات ،وقد نيّف على الثمانين»[2].

02. شخصية الجاحظ:

كان الجاحظ يتصف بشخصية فذّة تميزت بشمول الثقافة وقوة المنطق،وبالفضول العلمي والتعطش الفكري،وكانت الفكاهة علامة فارقة فيه،كما أنّ الدعابة كانت نزعة فيه متأصلة إلى الظرف والنكتة والسخرية التي لم تفارق أدبه.فقد حرمته الطبيعة شكلاً لائقا فكان قبيحا دميما،غير أنه تمتع بعقل نيّر وحسّ مرهف،وحضور للذهن وحبّ للتهكم حتى أنه كان لا

[1] - أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ،البخلاء،تحقيق :طه عبد الرؤوف سعد،دار الكتاب العربي،الطبعة الأولى،دمشق،القاهرة،د.ت،ص27-28.

[2] - أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ،البخلاء،حققه وشرحه:محمد التونجي،دار الجيل للنشر والطباعة والتوزيع،الطبعة الأولى،د.ب،2009،ص05.

يتوانى عن التهكم عن نفسه يلتمس النكتة ولو عن نفسه،حيث يقول:«ما تركت النادرة ولو قتلتني في الدنيا وأدخلتني النار في الآخرة»[1].

لقد كان الجاحظ يحب اللهو والمجون وسماع القيان والمغنين،ولكنه لم يبلغ الإباحية التي تفشت في عصره،وكان عقله الراجح والمنفتح على مجاري المعرفة من علماء الكلام ومن شيوخ الإعتزال أميراً من أمراء البيان.

***آثـــــاره:**

أثبت المترجمون للجاحظ كتبا كثيرة تربو على المئة وخمسين،فقد معظمها ،أما ما هو معروف له،فيثبت أنه أديب غزير الإنتاج شمولي المعرفة والأدب واللغة.وأشهر مؤلفاته ثلاثة كتب:الحيوان،البخلاء،البيان والتبيين.

03. التعريف بكتاب البخلاء:

يعد هذا الكتاب من نوادر البخلاء واحتجاج الأشحاء وأخبار المقتصدين من أهل البصرة وبغداد وخراسان ممن احتك بهم الجاحظ،أو قرأ لهم أو وقف على أخبارهم،وهو يسعى إلى تصوير أخلاقهم وعرض أحوالهم وطرقهم في الحرص يبغي في نفسه تبين حجّة طريفة أو تعرف حيلة لطيفة،أو استفادة نادرة عجيبة.

يستهل الجاحظ كتابه بمقدمة يتناول فيها **نفسية البخيل** وكيف يشعر بالآفة ويعجز عن تقديمها،فينتحل لنفسه الأعذار ثم يثبت الجاحظ رسالة **لسهل بن هارون** يردّ فيها على بني عمّه الذين اتهموه بالبخل.

ينتقل بعد ذلك إلى سرد نوادر البخلاء،مبتدئا بأهل خراسان حيث البخل طبع فيهم وفي طبيعة أرضهم وحيواتهم،ثم نوادر أهل البصرة من المُستجدّين ويسرد بعدها قصص من ذاع صيتهم في البخل أمثال:**زبيدة بن حُميد الصوفي ،وخالد بن يزيد،والحارثي** وغيرهم..

ويورد رسائل يذمّ فيها البخل ويمدح الجود أو العكس دون أن ينسى ويفرد قسما خاصا لأطعمة العرب في منافعها ومضارها،متحدثا عن النيران ودورها في هداية الضالين مستشهدا في كل ذلك بالأحاديث والآثار والشعر،«مما يدل على ما كان للجاحظ من ثقافة»[2].

[1] - أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ،البخلاء،حققه وشرحه:محمد التونجي ،ص06.
[2] - المصدر نفسه،ص07.

04. قيمة كتاب البخلاء:

يعتبر كتاب البخلاء من أكبر الآثار التي أبقت الأيام عليها من ميراث الجاحظ الأدبي الخالص،كما يقول **طه الحاجري**:«**وله مكانة بارزة في الأدب العربي،وله قيمة في الآداب العالمية وذلك لتجاوزه مظاهر الإنسان الفرد إلى أعماق ذاته**»[1]. كما أنه هناك قيمة أدبية لهذا البخلاء بين مجموعة الجاحظ الأدبية التي خلفها تراثاً أدبيا مهما لا يزال إلى يومنا الحاضر،وإلى جانب القيمة العلمية لهذا الكتاب،فإنّ قيمته الاجتماعية أعظم وأكبر خاصة وأنه يضع يده فيه على أهم الشرائح «فإنّ قيمته الاجتماعية التي لها صلة وثيقة بموضوع البخل»[2].

وتجلى قيمة الكتاب في كونه يعتبر صورة صادقة للعصر العباسي،فهو يصوّر طبقة المتموّلين ومن انتمى إليهم من أصحاب الثراء كالتجار والصنّاع وأصحاب الحرف ممن اغتنوا بعد فقر،وبنو مجدهم على المال واعتبروه مصدر بقائهم،هذا ما جعل الكتاب مرآة للواقع،وممثلاً لعصره يعكس ملامحه المتنوعة في الدين والثقافة والأدب والاجتماع.

كما تتجلى مقدرته الوصفية في تصوير بخلائه تصويراً لا يخلو من الدقة والتفصيل من خلال نقل مظاهرهم وحركاتهم وتصرفاتهم وألبستهم وأطعمتهم.وذلك ما يدل على قوة ملاحظته وسعة إدراكه.

ولعلّ القيمة الكبرى لهذا الكتاب تبرز في التحليل النفسي، والمتمثل في اهتمام الجاحظ بإبراز شخصياته في أشكالهم وحركاتهم وأحاديثهم دون أن ينصرف عن تحليل الطبائع وإظهار الملامح النفسية التي ينطوي عليها أبطاله، فاعتن بنفسياتهم وميولهم وأهوائهم ،فعرّاهم وأظهر كيف أنهم خوفا من العودة إلى الفقر تحوّلوا من أصحاب (جمع ومنع) إلى مراتب المفترّين الذين يعملون بوحي من شعورهم وتفكيرهم ومصلحتهم،فنراهم يتذاكرون ويتطارحون ويتدارسون على طريقة أهل المذاهب،قضايا عالمهم إلتماسا للفائدة واستمتاعا.

فكتاب البخلاء يشتمل على براعة في الوصف ومقدرة على التحليل وطبعية في الحوار والسرد،فضلا عن تهكم ودعابة وفكاهة،وقد جعل فؤاد البستاني يقول:«لو عرف العرب فن التمثيل لما كان الجاحظ أقل دهاء من موليير في بخيله في اختيار المشاهد،وأقل دقة في التصوير وفكاهة في التعبير»[3].

وواقع الأمر أنّ في الكتاب بذورا مسرحية بقيت مع الجاحظ مجرّد طاقة شخصية في مجال العطاء المسرحي،أما القيمة التاريخية فتظهر في ذكر عادات العرب وأخبارهم في

---

[1] - أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ،البخلاء،حققه وشرحه:محمد التونجي،ص8-9.

[2] -نسيمة الغيث،من المبدع إلى النص:دراسات في الأدب والنقد،دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط،القاهرة، 2001،ص69.

[3] -المرجع نفسه،ص09.

الضيافة والكرم وأنواع الأطعمة،وفي الإحاطة بأحوال الناس المعيشية حتى يتمكن القول بأن كتاب البخلاء مصدر تاريخي لفترة هامة من تاريخ الدولة العباسية،ومرجع لدراسة المجتمع العباسي بعاداته وتقاليده في طرائق العيش وأساليب الكلام المعروفة آنذاك.وعلى هذا يمكن اعتبار كتاب البخلاء رسالة اجتماعية خلفية في إيثار الاقتصاد في النفقة والإنفاق،والإسراف في التبذير.

وفي الختام ،يعد كتاب البخلاء أولى المحاولات التي عرفها العصر العباسي في النقد الاجتماعي،فالجاحظ ينظر إلى بيئته بعين العالم الذي يعالج مشكلة اجتماعية تعيق حركة المجتمع ونموه،فالبخلاء شريحة اجتماعية مريضة لا تفيد المجتمع في دورته الاقتصادية والبخل مرض هذه الشريحة حيث يؤخر الازدهار الإفادة من ثروة هذه الطبقة من البخلاء الأغنياء،وهكذا يعتبر أبو عثمان مصلحا اجتماعيا متحاشيا إلقاء المواعظ والخطب.

وعليه،فقد عرف الناس البخل منذ بدء الخلق وعرفوا الكرم أيضا،وذمّوا الأول وامتدحوا الثاني وصاغوا فيهما القصص والأمثال ونظموا القصائد ،ورسموا صورة بشعة للبخيل،كما رسموا صورة للكريم جعلتنا نزداد له حبا وإجلالا، وفي القرآن الكريم والسنة النبوية حثّ على الكرم وردع عن البخل ،وفي كتب الأدب والتاريخ قصص كثيرة عن البخل والكرم ،فقد كان الناس يتذاكرونها بينهم في مجالسهم وأسمارهم.

05. مفهوم البخل:

أ- **لغة:**قال صاحب اللسان:«**البُخْلُ والبَخْلُ:لغتان وقرئ بهما،والبَخْلُ والبُخولُ:ضدّ الكرم،وقد بَخِلَ يَبْخَلُ وبَخْلاً،فهو بَاخِلٌ بمعنى ذو بُخْلٍ،والجمع بُخَّالٌ،وبَخِيلٌ،والجمع بُخَلاءٌ**»[1].

ب-**البُخل في الكتاب والسّنة:**

إنّ البخل من الصفات الرذيلة والمذمومة عند كلّ الشرائع والأديان،ولقد نهانا ديننا الحنيف عن هذه الصفة،فقد جاء هذا النهي مؤيدا بالآيات الكريمة والأحاديث النبوية.

قال الله تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَبْخَلُونَ ويَأْمرُونَ النَّاسَ بِالبُخْلِ ويَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهينًا**﴾[2].

قال الشوكاني:«...والبُخْل المذموم في الشّرع هو الامتناع من أداء ما أوجب الله،وهؤلاء المذكورون في هذه الآية ضموا إلى ما وقعوا فيه من البخل الذي هو أشرّ خصال

[1] -ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم،لسان العرب،تحقيق:عبد السلام هارون، دار صادر،د.ط، بيروت،ص201.

[2] -سورة النساء،الآية:37.

الشرّ،...وهو أنهم مع بخلهم بأموالهم وكتمهم لما أنعم الله به عليهم من فضله يأمرون الناس بالبخل»[1]. وقد وردت آيات كثيرة في ذم البخل والنهي عنه.

وقد جاءت الأحاديث الشريفة تحذّر من البخل وتنفر منه وتصور البخيل بأبشع الصور ،فعن أبي بكر رضي الله عنه أنه قال:«**قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:أيكون المؤمن جبانا؟قال:نعم،فقيل له:أيكون المؤمن بخيلا؟قال:نعم،فقيل له:أيكون المؤمن كذّاباً؟قال:لا**»[2].

06. البخل في التراث العربي القديم:

لقد حفل التراث العربي القديم منذ العصر الجاهلي بالنصوص الشعرية والنثرية التي تهاجم البخل والبخلاء، وترسم لهم أبشع صورة وتروي عن بخلهم وتقتيرهم الغرائب والعجائب، وفي المقابل ترسم صورة مشرفة للكرم وأهله،وقد تعددت مجالات الحديث عن البخل والبخلاء في الشعر والنثر حيث نجد أنّ الهجاء وهو من أوسع أبواب الشعر قد تناول صفة البخل وكذلك البخيل وذلك ليرمي الشعراء بها من يهجونه،وعلى العكس تماما نجد في باب المديح الحديث عن الكرم ونفي البخل عن الممدوح.

وفي النثر العربي حديث مستفيض عن البخل والبخلاء،ويتجلى ذلك في الرسائل والمقامات والحكايات،فالتحذير من البخل مادة من مواد الرسائل الأدبية ،ورسم شخصية البخيل وحركاته وسكناته وحيله،وتلهفه على المادة.فالمؤلفات التي تحدثت عن البخلا والبخلاء كثيرة في التراث العربي سواء كان ذلك ضمن أبواب الأدب العامة أم عن طريق إفراد أبواب وفصول للحديث عن البخلاء أو الحديث عن الطعام،وآداب المؤاكلة.

07. أشهر المؤلفات في البخل والبخلاء:

يبدو أنّ حركة التأليف في البخل والبخلاء قد بدأت في التراث العربي القديم بأحاديث وحكايات وروايات جمعها الأصمعي ،وأبو عبيدة وغيرهم من رواة الأشعار والأخبار،ووردت مشتتة ولكنها فيما تحسب النواة الأولى لأخبار البخلاء وقصصهم.

ومع قيام الدولة العباسية«كانت أحاديث البخل والبخلاء تسير في طريقين،وتتجه إلى غايتين،وفي أحد الطريقين يقوم دعاة الشعوبية فيردون على العرب فخرهم التقليدي بالكرم،ويقولون:إنّ أكثر هذا الفخر كلام لا يفي به الفعل ونوع من النفج لا حقيقة له في الواقع،وفي سبيل ذلك يذهبون يلتقطون من هنا وهنا أخبارهم...»[3].هذا النوع من البخل

---

[1] -سيف محمد سعيد المحروقي،نماذج إنسانية في السرد العربي القديم،دار الكتب الوطنية،الطبعة الأولى، أبو ظبي،2010،ص21.

[2] -المرجع نفسه،ص22.

[3] - المرجع نفسه ،ص24.

وجهته النعرة العرقية التي ثارت بين روح العربية وروح الشعوبية،وإلى هذا المعنى أشار **الجاحظ** بقوله:«**والشعوبية والآزادْمرية المبغوضون لآل النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه،ممّن فتح الفتوح،وقتل المجوس،وجاء بالإسلام تزيّد في خشونة عيشهم وخشونة ملبسهم،وتنقص من نعيمهم ورغافة عيشهم**»[1]،أما الطريق الثاني والغاية الثانية لأحاديث البخل والبخلاء فكان يوم قام بها الدعاة ممن وضعوا أنفسهم في خدمة السلطان ومسايرة العلماء والأدباء.

لاشك أنّ الدولة العباسية الوليدة قد شعرت بحاجتها الماسة إلى تمكين نفسها،ولو كان ذلك عن طريق الدعاية السياسية،حيث لجأت إلى طمس كل مزايا دولة الأمويين المنهارة التي مازالت عالقة في أذهان الكثيرين من الناس ،ومن هنا كانت الحاجة إلى من ينشر مثل هذه الرّوح بين الناس،فأوحوا إلى العلماء والكُتّاب بكتابة الكتب وإذاعة الرسائل مشيّدين بمناقب الدولة القائمة آنذاك،وذكر مثالب الأمويين،فجعلوا يتلقفون الأخبار ويتزيدون فيها على خلفاء بني أمية وعمّالهم،«والخبر الذي يرويه الطبري يبين بجلاء تلك الخصومة بين بني العباس وبني أمية والتي استخدم فيها العلماء والكتّاب من كلا الفريقين في ذكر مثالب الخصم، وكان من أكثر الشُّنَّع التي يتقاذف بها الفريقان»[2] ،فقد كانت تحدث تأثيرا في نفوس الجماهير وخصوصا ما تعلق منها بالمطاعم بين الشّرِه الذي يتقزّز منه الحضارة والبخل الذي تنفر منه الإنسانية وهما يتجاوران كثيرا في حديث البخلاء.

لقد كان هذا حال الكتابة في البخل والبخلاء قبل الجاحظ،ومهما يكن من أمر فهاهم أولاء أسلاف الجاحظ في الكتابة عن البخل والبخلاء،وهاهو ذا أسلوبهم في تناول ذلك الموضوع ومهما تكن حقيقة الحوافز إليه،فقد كانت كتاباتهم فيه إخبارية لا فنية.فلم يقف الأمر عند هذا الحد،فقد أولع الناس بالجاحظ وذلك بالتحدث عن البخلاء ونوادرهم ،فكتاب الأغاني لأبي فرج الأصفهاني (ت:356هـ)يعد من أعظم الكتب التي اهتمت بأخبار البخلاء،كما يعدّ الخطيب البغدادي (ت:463هـ)من الذين خصّوا بالبخلاء بكتاب مستقل بعنوان البخلاء، ومن الذين اهتموا بأخبار البخلاء شهاب الدين النويري (ت:733هـ)في كتابه الموسوعي (نهاية الأرب)، وألف المبرد (ت:909هـ) كتابا في البخل والكرم سمّاه (إتحاف النبلاء بأخبار وأشعار الكرماء والبخلاء).

وعلى الرغم من كثرة ما ألف في البخل والبخلاء قبل الجاحظ وبعده،غير أنّ شهرة بخلاء الجاحظ طغت عليها جميعها حيث تميز الجاحظ في كتابه(البخلاء) بأنه «تمكن من تصوير أخلاق الناس الذين يعيشون في مجتمعه أثناء ممارستهم حياتهم العادية

[1] - أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ،البخلاء،حققه وشرحه:محمد التونجي،ص228.
[2] - سيف محمد سعيد المحروقي،نماذج إنسانية في السرد العربي القديم،ص24.

الطبيعية مستشهدا بما يلاحظ،ومستخدما السخرية والنقد والتحليل»[1]،فلم يكن الجاحظ أوّل من فتح باب جمع طرائق البخلاء عند العرب،ولكنّه أوّل منْ ألّف كتاباً جمع بين دفّتيه أغلب ما قيل في البخل والبخلاء والشّحّ والأشحّاء،وفلسف هذه الظاهرة وأشبعها دراسة وتعليقًا،فكان كتابه عبارة عن فاتحة للمؤلفات العربية ذات الموضوع الواحد المشبّع تمحيصًا،فللجاحظ في هذا فضل السبق،وكتابه البخلاء من أقدم الكتب العربية التي حملت طابع العمق في الأدب،والتخصص في الموضوع،ويمكن النّظر إليه على أنه أوّل كتاب جعل مؤلفه موضوعه قاصرًا على تصوير صفة واحدة من الصفات التي يتصف بها إنسان وهي البخل،حيث صوّرها في شكلها النفسي الداخلي،وكذلك في مظاهرها المادية الخارجية،وقد تناول ناحية واحدة من النفس الإنسانية هي البخل فقلبها على جميع وجوهها ،ونظر إليها من كل جانب،فأتى نموذجه مكتمل الأبعاد النفسية والاجتماعية والجسمية ثم إنّ كتاب البخلاء يعدّ في تاريخ الأدب العربي حدثا هما إذْ هو أوّل كتاب يؤلف في فن أدبي كان وسيكون له في الأدب العربي شأن كبير،وهو أدب الطبائع وشهرته تحملنا على الظن على أنه كان له الأثر الأكبر فيما ألف بعده من المواضيع فيما سمّي بأدب الطبائع.

وختاما،فإنّ كتاب البخلاء يصور شريحة من الناس ليسوا مقصورين على عصر ما أو زمن ما، فالبخل والشّح لصيق بأشخاص معينين بعيش داخلهم،والكتاب حين صور شريحة البخلاء صورهم بملابسهم وعاداتهم ومنطقهم وصفاتهم النفسية
والجسمية،فالجاحظ من الأدباء الذين عاشوا في فضاء الحقيقة ولم يغرقوا في آفاق الخيال البعيدة.

[1] -ـ سيف محمد سعيد المحروقي،نماذج إنسانية في السرد العربي القديم ،ص26.

ثانيا:مصادر تشكيل نموذج البخيل في كتاب البخلاء للجاحظ:

لعل أول هذه المصادر وأهمها التي استقى منها الجاحظ فكرة تأليفه لكتابه البخلاء، فقد خلق نموذج البخيل وهو ما يحيط به من واقع عايشه وعاصره وشاهد متغيراته وأحداثه،فكانت النواة الأولى والخيط الذي اهتدى به على ما يبدو لتشكيل نموذجه الإنساني،فصفة البخل التي اتخذ منها الجاحظ عنوانا ومضمونا لكتابه لم تكن لولا ما رصده الجاحظ في عصره ومجتمعه من تفشي هذه الظاهرة على أيدي مجموعة من الناس اتصفوا بها،واتخذوها منهجا لهم وفلسفة يدافعون عنها ولاسيما في البصرة وخراسان، وبعض المجتمعات الأخرى،والمتابع للجاحظ في صنعته وكتبه ورسائله،يجده قد شغف بحكاية الواقع حتى أنه ليذكر السيئات والعورات في غير مواربة.

يبدو أنّ واقعية الجاحظ هذه قد أثّرت عليه في كتبه وآثاره المختلفة،فقد عنى بحكاية عصره وتمثيله تمثيلا دقيقا،حيث كان لصيقا به ممتزجا به عارفا بأحواله عالما بخفاياه وخاصة بيئة البصرة التي كان يلازمها ويرصد حركاته ومتغيراتها.إنّ وجود ظاهرة البخل في مجتمع الجاحظ وعصره،لم تكن لتظهر في كتاب كامل غاية الإتقان والإمتاع لولا ثقافة الجاحظ وعلمه وأدبه وما تميز به عن غيره ،فالجاحظ منذ نشأته كان تختلف مع مجموعة من الصِّبيَة إلى بعض الكتاتيب،حيث كانوا يتعلمون فيها القراءة وشيئا من الفقه والنحو والحساب ويحفظون بعض الآيات والأشعار ،وكان يستمع إلى محاضرات العلماء فيها،وكانوا يحاضرون في كل فن وكانت أشبه بجامعات اليوم،والمراد من ذلك أنه إذا ما أردنا أن نلمح إليه هو أن حياة الجاحظ الثقافية كانت عالية ،وهذا كان عاملا مساعدا قويا في كتابة البخلاء،وإخراجه على هذه الهيئة من الصّنعة والإتقان.

وغالب الظن أنّ الجاحظ لاحظ مشكلة اجتماعية تتفاقم في عصره وقد اتسع نطاقها في مجتمع غلبت عليه الصفة المادية،وخالطته مجتمعات من أجناس أخرى ولاسيما في البصرة،تلك المدينة التي عرفت شعوبا شتى وسكنها البدو وأهل الريف وأهل المدن المفتوحة للذين وفدوا إليها،وكان كل شعب من هذه الشعوب قد حمل معه ثقافته الاجتماعية،حيث اختلفت عمّا ألّفه العرب في مجتمعهم ،ولعل الجاحظ وجد في مدينة البصرة حالة اجتماعية تتفاقم،وبلغت من السوء حدًّا ما،كان مألوفا في المجتمع العربي،فتنبّه الجاحظ على ما يبدو إلى ذلك فسجّلها بأسلوب ساخر محاولا في ذلك أن ينفذ إلى خوالج النفس البشرية.

يبدو أنّ شخوص الجاحظ لم تكن خيالية بل كانت من ضمن مجتمعه الذي عايشه،فقد كان الجاحظ يذكر هاته الشخوص بأسمائهم في رسالته،ومنهم منْ ألمح إليه إلماحًا فهم إمّا من خلطائه وأصدقائه ومن معاصريه،وإما ممّن سمع عنهم ولم يتصل بهم،وإمّا من الذين تلقى روايات عنهم.

وبناء على هذا،فإنّ شخوص الجاحظ في كتابه على ما يبدو كانوا شهود عيان على البخل والبخلاء أو أنهم كانوا هم أنفسهم من البخلاء الذين وصفهم الجاحظ في كتابه وإليهم أشار بقوله:«**هذه ملتقطات أحاديث أصحابنا وأحاديثنا،وما رأينا بعيوننا...**»[1] .من خلال هذا القول يتضح بأنّ الجاحظ الذين ذكرهم في كتابه البخلاء هم من البخلاء،ولكنه كان يلصق ببعضهم هذه الصفة،إمّا لشهرة هذه الشخصية وذيوع صيتها،وهذا ما يحقق جذبًا القارئ،وإمّا لحاجة في نفس الجاحظ قضاها،وقد انصهرت هذه الشخصيات جميعها في تشكيل شخصية رئيسية واحدة وهي نموذج البخيل الذي سعى الجاحظ إلى خلقه من خلال عمل فني رائع.

ويبدو أنّ الجاحظ قد استفاد من الموروث الديني في خلق نموذجه،فاستشهد بعدد من الآيات الكريمة والأحاديث النبوية،وأقوال الصحابة وأقوال التابعين،كما ضمّ الكتاب أقوالاً لأعلام الدين والثقافة من غير الصحابة كالحسن البصري،وهو من أبرز الشخصيات الإسلامية في القرن الهجري الأول، **ومن بين هذه الأعلام**:(الحجاج بن يوسف الثقفي، وزياد بن أبيه، وأكثم بن صيفي) وغيرهم.

وعليه،فقد جاء كلّ ذلك على لسان نموذج البخيل مستشهدا بها إما «لتبرير موقفه وفعله،وإما دفاعا عن مذهبه وفلسفته في البخل»[2].

لقد استفاد الجاحظ من الموروث الأدبي،فالقارئ لكتابه يجده يستشهد بعدد لا بأس به من الأبيات الشعرية،وليست جميع الأبيات الشعرية التي استشهد بها الجاحظ سيقت للاستشهاد والإقناع،ومحاولة التأثير،ولكن بعضا منها سيق للمناقشة أو للتعريف بشخصية ما،أو لأغراض ما.

كما استفاد الجاحظ من النثر الأدبي فاستخدم الأمثال وما نقل عن السابقين من أخبار ومأثورات وحكم وأقوال العامة ،وأخبار البخلاء الموروثة هنا وهناك في مصنفات السابقين،وهذه كلّها مبثوثة في كتاب البخلاء في مواضع متفرقة منه،وقد أراد الجاحظ أنْ تخاطب الشواهد العقل والقلب معا،وأنْ تعلن عن العلاقة بين الموضوع والموروث،لتأكيد الظاهرة الإنسانية التي لم تكن طارئة أو مفاجئة، وإنّما كانت النسبة للجاحظ ظاهرة تتصل بالعنصر الإنساني ولكنها اتخذت في البصرة شكلا محسوسا وظاهرا،حتى باتت البيئة البصرية تألفها وتعيش معها.

لم يقف الجاحظ عند حدود الشواهد التي استمدها من موروثه الأدبي،بل تعدى ذلك إلى الاستفادة من القوالب الأدبية المألوفة كالرسائل والوصايا والحكايات،فكانت الرسائل ضمن

[1] - أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ،البخلاء،حققه وشرحه:محمد التونجي،ص148.
[2] - سيف محمد سعيد المحروقي،نماذج إنسانية في السرد العربي القديم،ص30.

المصادر التي اعتمدها الجاحظ في كتابه كرسالة سهل بن هارون ورسالة أبي العاص،وبعض الوصايا كوصية خالد بن يزيد.

وعليه،فقد كانت مصادر الجاحظ الرصيد الذي استفاد منه حيث استطاع أن يوجهه لخدمة فكرته ورسم ملامح نموذجه وتوظيفه.

1. نفسية البخيل:

يبدو أنّ الجاحظ قد تعمّق في شخصية نموذج البخيل وسبر أغوارها واستشف نفسيتها،فقدم لنا صورة غاية في الإتقان لنفسية نموذجه،فسلكه في مواقف وحاوره مع شخوص مختلفة التفكير والمزاج والطباع،وأجرى له مونولوجا داخليا،ورسم لنا محيطه الذي يتحرك فيه،وبيئته التي يعيش فيها،كل هذا وظّفه الجاحظ ليقدم لقارئه نفسية البخيل بما يخالطها من أفكار وما يعتريها من خوف وقلق دائمين.

يعيش نموذج البخيل نفسية مضطربة غير مستقرة،فهو في حالة قلق دائم عندما يتعلق الأمر بالطعام،ونعني طعامه على وجه الخصوص؛«فهو يعيش في عذاب مستمر يراقب كل ذرّة من طعامه،وتتمزّق نفسه بقدر تمزّق مائدته»[1]،حيث **يقول الحارثي:« الفتى لا يكون نشّالاً*، ولا نشّافًا**،ولا نفّاضاً***،ولا دلاّكًا****،...فكيف لو رأى أبو الفاتك اللَّطَّاعَ،والقَطَّاع...»**[2].

لقد ورد هذا الوصف على **لسان الحارثي** عندما لامه جماعة من الناس على فعله،فهو يأمر بصنع الطعام فيجيده ويكثر منه،فلا يُشهد على طعامه ليغمّه،ولا صديقا ليسرّه ولا جاهلا ليعرّفه مدى كرمه،ولا شاعرا فيتحدّث عن كرمه على الملأ وفي مجالس القوم،فيشهد له هؤلاء جميعا بالكرم.

2. ملامح نموذج البخيل:

تعد صفة البُخْل من أبرز صفات نموذج البخيل،ولكنها ليست الصفة الوحيدة،فكما سبق أنْ ذكرنا في تحديد مفهوم النموذج أنّ الصفة الغالبة في النموذج هي القادرة على إظهار النموذج وتحديد ملامحه بحيث يستطيع المتلقي أنْ يُدرك وجوده .

---

[1] - سيف محمد سعيد المحروقي،نماذج إنسانية في السرد العربي القديم،ص31.

*الذي يتناول من القدر ويأكل قبل النّضج.

**وهو الذي يأخذ حرف الجّرْدَقَةَ فيفتحه،ثم يغمسه في رأس القدر.

***وهو الذي وهو الذي إذا فرغ من غسل يده نفضها من الماء.

****وهو الذي لا يجيد تنقية يديه من الأشنان ويجيد دلكها بالمنديل.

[2] - أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ،البخلاء،حققه وشرحه:محمد التونجي،ص67.

ولابد من وجود صفات أخرى تشترك مع الصفة الغالبة فهي تِبعٌ لها تساهم مجتمعه في رسم ملامح النموذج وتحديد أبعاده الجسمية والنفسية والاجتماعية والفكرية.وإذا كان الجاحظ قد أراد من رسم نموذجه أن يبرز الصفة الغالبة فيه،إلا أنّ إنسان الجاحظ يحتوي بداخله صفات أخرى غير صفات أخرى غير صفة البخل حتى لو تعارضت هذه الصفات،وكان يصعب أنْ ينسجم بعضها مع بعض؛لأنّ«الجاحظ يرى أنّ الإنسان مجموعة من المتناقضات تتآلف فيما بينها ،ولذا أطلق على الإنسان العالم الصغير سليل العالم الكبير»[1].

أ-النَّفَج(التفاخر والكِبَر):

يقول الجاحظ في وصف أحد بُخلائه:«**كان أحمد بن الخاركي بخيلا،وكان نَفَّاجًا،وهذا أَغْيَظُ ما يكون،وكان يتّخذ لكلّ جُبَّةٍ أربعة أزرار،ليرى الناسُ أنَّ عليه جُبَّتَيْنِ،ويشتري الأَعْذَاقَ والعَراجين والسَّعَفَ من الكلاَّءِ فإذا جاء به الحمّال إلى بابه تركه ساعةً يوهم الناس أنّ له من الأرَضين ما يُحْتمل أن يكون ذلك كله منها.وكان يكتري قُدور الخَمَّارين التي تكون للنَّبيذ،ثمّ يتحرَّى أعظمها،ويهرب من الحمّالين بالكراء كيْ يصيحوا بالباب،...ويحبسون الحمّالين بالكراء،وليس له في منزله رِطْلُ دِبْسٍ**»[2].

يبدو أنّ الجاحظ قد لفت الأنظار إلى هذه الصفة في بعض بُخلائه،وكان يُصرّح في كثير من الأحيان بهذه الصفة في نموذجه.وذلك كقوله عن أحد بُخلائه☹**وكان نَفَّاجًا)** وهذا مما يؤكد حرص الجاحظ على إبراز هذه الصفة في بخيله،فالبخيل وإنْ كان يدّعي الكرم إلا أنّه بعيد عنه،فيخالف قوله فعله،وهذا هو الفرق بينه وبين البخيل الذي يحرص على سُمْعته،وعلى أنْ يذكر بالكرم،وأما البخيل النَّفَّاجُ فلا يخرج شيئا من ماله أو طعامه،وإنّما يحرص على ادّعاء الكرم والظهور بمظهر الشّهم الكريم دون أنْ يكون ذلك على حساب إتلاف ماله.

ب-الإنفرادية:

إنّ صفة الإنفرادية لصيقة بالنموذج،حيث حاول الجاحظ إبرازها من خلال قصص البخلاء،وخاصة إذا تعلّق الأمر بالمأكول والمال،«وهم وإنْ أظهروا تعاونا فيما بينهم،غير أنّ هذا التعاون يكون المقصد من ورائه تعرّف السبل والتدابير التي من شأنها حفظ مالهم من التلف كما هو الحال بالنسبة للمُسْتَجِدّينَ»[3].

---

[1] - سيف محمد سعيد المحروقي،نماذج إنسانية في السرد العربي القديم،ص49.

[2] - أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ،البخلاء،حققه وشرحه:محمد التونجي،ص125-126.

[3] - سيف محمد سعيد المحروقي،نماذج إنسانية في السرد العربي القديم،ص52.

وكعادة الجاحظ يكون شاهدًا على بعض قصص بخلائه فيحكي أنه رأى «**حَمَّارة منهم زهاء خمسين رجلاً يَتَغَدَّوْنَ ...في طريق الكوفة وهم حُجَّاجٌ،فلم أَرَ من جميع الخمسين رجلين يأكلان معًا،وهم في ذلك متقاربون،يُحدِّثُ بعضهم بعضًا**»[1].

فقصص البخلاء التي هي من هذا القبيل كثيرة وقد ذكرها الجاحظ في مواضع كثيرة.

ت-نُكْـران الجميل:

تعدّ هذه الصفة من الصفات الذّميمة التي اتصف بها بخيل الجاحظ،فهذا (مروزي)البخيل يستغل شهامة العراقي وصداقته له،فينزله العراقي عنده مراراً وتكراراً مُعزّزاً مُكرّمًا ويكفيه مؤونته،حيث يزعم البخيل أنه يردّ له جميله هذا ويتمنى على العراقي أن يزوره في بلده،ومضت الأيام«**فعرضْتُ لذلك العراقي بعد دهرٍ طويل حاجة في تلك الناحية، فكان مما هوّن عليه مُكابدة السّفر ووحْشة الاغتراب مكان المرْوَزي هنالك**»[2] .فلما قدم على (المروزي) تنكّر له (المروزي) وادّعى عدم معرفته له وهكذا وهناك قصص كثيرة من هذا القبيل وردت في عدة مواضع.

ث-الشَّراهــة:

يجمع النموذج البخيل بين البُخل والتقتير ،وحُبّ الأكل واشتهاء اللحم لكنّه يأكل بشراهة ونهم،وقد لا تكون الرغبة في الطعام السبب الرئيسي في هذه الشراهة،وإنما شدة حرصه وبخله خاصة عندما يُدعى إلى موائد الكرماء،أما في بيته وعلى طعامه فهو أبخل ما يكون وله مع اللحم والإدام شأن آخر.

ويحكي الجاحظ عن محمد بن المؤمل وهو من البخلاء المشهورين بعد أن احتال على كرمائه،حيث يقول:«**فإذا عَلِم أنه قد أحْرزَهم واحتال لهم حتى يقلعهم عن مواضعهم من حول الخِوان،ويعيدهم إلى مواضعهم من مجالسهم،ابتدأ الأكل فأكل أكل الجائع ،وقال:إنّما الأكل تاراتٌ،والشّرابُ تاراتٌ**»[3] .

وقد يجمع الجاحظ نموذج البخيل مع الشراهة صفات أخرى تتلق بها،كسوء الأكل،وقذارة المؤاكلة،ويصف الجاحظ أحد بخلائه بقوله:«**وكان قاسم شديد الأكل،شديد الخَبَطِ،قذر المُؤاكلة،وكان أسخى الناس على طعام غيره،وأبخل الناس على طعام نفسه،وكان يعمل بعمل رجل لم يسمع بالحِشمة ولا بالتّجمُّلِ قط،فكان لا يرضى بسُوء أدبه على طعام ثُمامة حتى يجرّ معه ابنه إبراهيم،وكان بينه وبين**

[1] - أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ،البخلاء،حققه وشرحه:محمد التونجي،ص24.
[2] - المصدر نفسه،ص22.
[3] - المصدر نفسه ،ص100.

إبراهيم ابنه في القَذر،بقدر ما بينه وبين جميع العالمين،فكانا إذا تقابلا على خوان ثُمامة لم يكن لأحد على أيْمانهما وشمائلهما حظّ في الطيبات»[1].

وقصص أخرى كان الجاحظ قد ذكرها،منها ما صرّح به معبرا عن شراهة نموذجه وأخرى ترك للقارئ فيها حسن الفهم والإدراك.

ح-الصّـــدْق:

إنّ الملاحظ لحكايات الجاحظ عن البخل والبخلاء يجد أنه لم يحْكِ عن كذب نموذج البخيل،سوى ما حكاه عن نفج البخيل وادّعائه الكرم وحتى هذه لا يمكن أنْ نعدّ ذلك كذبة ولو أراد بها الجاحظ أن يصف بخيله بالكذب لما أعياه ذلك،بل على العكس تماما،فالجاحظ يخبر بأنّ أبا يعقوب قال يوما:**«ما فاتني اللّحمُ منذ ملكتُ المال»[2]**.نجد من خلال هذا القول أنّ الجاحظ قد أوّل هذه المقولة وأخرجها إلى حيّز الصدق،وإلا فكيف يُعقل أنّ بخيلا يأكل كل يوم لحما؟وفي ذلك يقول الجاحظ على لسان أبي يعقوب موضحا مقولته:**«إذا كان يومُ الجمعة،أشتري لحمَ بقرٍ بدرهم،وأشتري بصلاً بدانق،وباذنجاناً بدانق،وقرعة بدانق،فإذا كان أيّام الجزَر،فجزراً بدانق،...فلهذا كان يقول: ما فاتني اللّحمُ منذ ملكتُ المال»[3].**

خ-عِــزَّة النَّفْس:

كان لبخيل الجاحظ نفسٌ أبية على ما يبدو،فلم يكن يرضى المهانة لنفسه ولا جعلته هذه الصفة ذليلاً بين الناس،فيضع نفسه في مواقف تحط من كرامته،ففي حكاية الجاحظ عن **أبي سعيد المدائني** مثلا ،يتضح أنّ الجاحظ لم يرسم نموذجه في صورة الذليل أو المُهان ،بل على العكس من ذلك تماما،حيث يقول الجاحظ:**«وكان أبو سعيد هذا أشدّ الناس نفساً،واحماهم أنفاً،بلغ من أمره ذلك ومن بلوغه فيه أنّه أتى رجلاً من ثقيف يقتضيه ألف دينار،وقد حلّ عليه المال،فكان ربما أطال عنده الجلوس،ويحضر عنده الغداء فيتغدّى معه،وهو في ذلك يقتضيه،فلما طال عليه المطلّ،قال له يوما وهو على خِوانه:إنّ لهذا المال زكاة مؤدّة وقد علمنا أنّا حين أخرجنا هذا المال من أيدينا أنه معرض منك بالربح اليسير بالذي ظننّاه بك من حُسْن القضاء ولولا ذلك لم نرض بهذا المال...»[4] .**

جد من خلال هذا القول أنه كان يقول هذا الكلام وهو في ذلك لا يقطع الأكل،حيث أقبل عليه رجل من ثقيف فعرض له بأنه لو أراد التقاضي محضا لكان ذلك في المسجد، ولم يكن في الموضع الذي يحضرُ فيه الغداء.

---

[1] - أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ،البخلاء،حققه وشرحه:محمد التونجي ،62-67.

[2] - المصدر نفسه،ص122.

[3] -المصدر نفسه،ص121.

[4] - سيف محمد سعيد المحروقي،نماذج إنسانية في السرد العربي القديم ،ص55.

إنّ الباحث لم يعثر على قصة من قصص البخلاء تنازل فيها البخيل عن كبريائه وأنفته أو أنّه مرّغ أنفه في التراب،مقابل خبز أو شربة ماء،وهذا ما يدفعنا إلى الظّن بأنّ الجاحظ حاول إظهار هذه الصفة في نموذجه.

3. ثقــافة البخيــل:

إنّ نموذج البخيل على قدر من الثقافة والمعرفة،إذْ نجده يستشهد في كلامه بالقرآن الكريم والحديث الشريف،وأقوال الصحابة والتابعين والخلفاء العباسيين والأمويين،وأهل العلم واللغة والفلاسفة،وبالشعر والنثر،وهذا ما نلمسه في كلّ من« رسالة سهل بن هارون،وأهل خراسان،والحزامي،وقصة الكندي مع المسْتأجرين،وقصة محمد بن أبي المؤمل لمّا عابوا عليه قلة عدد خبزه»[1]،وغيرهم.ومجمل هذه الاستشهادات وظفها نموذج البخيل لتبرير مواقفه والدفاع عن مذهبه في البخل،فكانت سلاحه الذي واجه به خصومه ومنتقديه وبنى عليها مذهبا يوافق طبعه.

فالبخيل «لا يرى الطبخ في القدور الشامية،ولا تبريد الماء في الجرار المذارية لأنّ هذه ترشح وتلك تنشف»[2].فالبخيل يعلم ما قد يفعله الطبخ في القدور والماء البارد في الجِرار.

4. طبيــعة تديّنــــه:

يبدو أنّ نموذج البخيل قد استشهد بالآيات القرآنية والأحاديث الشريفة،وأقوال أهل العلم،وهذا ما يدلّ على أنّ بخيل الجاحظ متديّن لمجرد أنه استشهد بالقرآن والحديث،أو لأنه يصليّ ويصوم ويحجّ،فالبخيل وظف هذه الاستشهادات لدعم رأيه ومذهبه، وهي أقرب إلى الثقافة العامة منها إلى الثقافة الدينية إضافة إلى ذلك يمكن لمح من ذلك عاطفة دينية عنده.

أمّا ما ورد من إشارات إلى الشعائر الدينية في أثناء القصص ،فهي أيضا لا تشير إلى عاطفة النموذج البخيل الدينية وارتباطها بالقصة «لا يعدو ارتباطها بالمكان والزمان،ولكننا نستوحي منها أن الدين حاضر في حياة البخيل وهو تدين سطحي»[3].

إنّ ما يدعو إلى وصف تديّن البخيل هو بعض الإشارات التي وردت على لسان البخيل على ما يبدو حيث تدل على ضعف إيمانه فمن ذلك «**أنّ مرزويا سمع الحسن وهو يحث الناس على المعروف،ويأمر بالصدقة،ويقول:ما نقص مال قط من زكاة،ويعدهم سرعة الخلف ،فتصدّق بماله كله فافتقر،فانتظر سنة وسنة،فلما لم يرَ شيئاً بكّر على الحسن**

---

[1] -- سيف محمد سعيد المحروقي،نماذج إنسانية في السرد العربي القديم ،ص57.

[2] - أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ،البخلاء،حققه وشرحه:محمد التونجي،ص45.

[3] - سيف محمد سعيد المحروقي،نماذج إنسانية في السرد العربي القديم ،ص58.

،فقال:حسنٌ ما صنعت بي؟ضمنتَ لي الخلفَ،فأنفقت على عدتك،وأنا اليوم مذ كذا وكذا سنة،انتظر ما وعدت،لا أرى منه قليلا ولا كثيرا...»[1]

ويعلّق الجاحظ على هذه القصة بقوله:«**ومنْ تصدّق وتشرّط الشروط،استحقّ الحرمان،ولو كان هذا على ما توهّمه المرْزوي،لكانت المحنة فيه ساقطة،ولترك الناس التجارة ،ولما بقي فقيرٌ،ولذهبت العبادة»**[2].

5. صفـات نموذج البخيل الجسدية:

يبدو أنّ الجاحظ قد أطلعنا على الكثير من الصفات المعنوية والنفسية والفكرية لنموذجه،إلا أنّه يمكننا أن نجد صفات البخيل الجسدية تكاد تكون معدومة في كتاب البخلاء،ولاشك أنّ الجاحظ لم يشأ التركيز على هذا الجانب من صفات نموذجه،غير أننا لا نجد بعض الدلالات التي تشير إلى صفاته الجسدية ،فمن ذلك حديث خالد بن يزيد يصف نفسه بصفات جسدية ويبدو أنه كان يجمع إلى جانب صفة البخل صفة أخرى هي الكدية،حيث يقول:«**اللّحية وافرة بيضاء،والحلْقُ جَهيرٌ طلٌّ،والسمتُ حَسَنٌ، والقبول عليّ واقع»**[3].

ويصف الجاحظ بعض بخلائه بقوله:«**حدّثني أحمد بن المثنى عن صديق لي وله،وضخم البدن»**[4] .وقوله:«**كان ضخماً جَهير الصوت»**[5].

يبدو أنّ نموذج الجاحظ ينتمي إلى طبقة مترفة تنعم بالراحة والاستقرار؛فهو حسن الهيئة طلق الوجه والقبول عليه واقع،لا يشكو ضعفا ولا هزالا،وكان ضخم الجثّة ولحيته وافرة وحلقه جهير،نظيف الملبس،وهذا لا يتعارض مع صفة البخل التي يتصف بها البخيل،فلعلّ اهتمام البخيل بشكله مظهر من مظاهر البخل الباطن،أو لعله أراد أن يحقق له غاية يسعى إليها،كالظهور بمظهر الكريم،أو الرغبة في مخالطة الكرماء والنبلاء حرصا على تناول طعامهم،أو كل ما من شأنه أن يكون سببا في حفظ طعامه من التلف،والاكتفاء بطعام غيره.

بعد استعراضنا أهم وأبرز ملامح نموذج البخيل،نود أن نشير إلى أنّ صفة البخيل في نموذج البخيل،حيث لم تطغ على باقي الصفات الحميدة فيه ،وعليه،فقد استطاع الجاحظ أن يخلد ذكره إلى يومنا هذا وفي كثير من الناس على مختلف العصور والأزمان.

---

[1] - أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ،البخلاء،حققه وشرحه:محمد التونجي،ص27.
[2] -المصدر نفسه،،ص27.
[3] - المصدر نفسه ،ص49.
[4] - المصدر نفسه،ص56.
[5] -المصدر نفسه،ص57.

ثالثا: لـــغة نموذج البخيل:

1- طبيعة اللفظ:

عني الجاحظ بتدقيق ألفاظ نموذجه وانتخابها،بحيث تلائم ما يصفه ويصوره حتى إنّه ليحكي كلام المولّدين والعوام بما فيه من لحن وخطأ،وذلك لينقل إليك الواقع بما فيه.وللجاحظ في هذا هدف معلن يذكره في مقدمة كتابه البخلاء وذلك في قوله:«**وإنْ وجدتم في هذا الكتاب لحناً،أو كلاما غير معرب،أو لفظا معدولا عن جهته،فاعلموا أنّا إنما تركنا ذلك لأنّ الإعراب يبغّض هذا الباب،إلاّ أن أحكي كلاما من كلام مُتَعَاقِلِي البخلاء،وأشحّاء العلماء،كسهل بن هارون وأشباهه**»[1].

وبهذا يكون الجاحظ قد حدّد لغة نموذجه وطبيعة ألفاظه،فهي لا تعدو أن تكون لحنا أو غير معربة،أو لفظا معدولا عن جهته،أو أن تكون عربية فصيحة بليغة،ويجري هذا الأخير على لسان متعاقلي البخلاء وأشحّاء العلماء.والجدير بالذكر أنّ الدكتور **إبراهيم السّامرائي** قد قام بعمل معجم خاص بالجاحظ،حيث سجّل فيه الألفاظ التي استعملها الجاحظ في كتبه ورسائله،ومن بينها كتاب البخلاء،وقد قصد طوائف معينة من هذه الألفاظ،يقول **السامرائي**:«**وأنا قد شغلت نفسي بهذا الجهد،فلابد أن أَهْدي القارئ إلى أنّيِ في هذا العمل المعجمي قد قصدت طوائف معينة من الكلم...**»[2].

لا يخفى على ذي لب الجهد الذي بذل في هذا المعجم،وكان لكتاب البخلاء حظّ وافر منه،ونسوق في النماذج اللغوية القادمة،أمثلة على أنواع الألفاظ والأساليب التي جاءت على لسان نموذج البخيل.

أ- ألفاظ وتعبيرات عامية:

لم تخْلُ لغة البخيل من الألفاظ والتعبيرات العامية،فمن هذه الألفاظ والتعبيرات ما يلي:

- جاء على لسان البخيل لفظة (**بَلْقَاءَ**) حيث يقول الجاحظ:«**وقد زعم أبو الحسن المدائني أنّ ثريدةَ ملك بن المُنذر كانت بَلْقَاءَ،ولعلّ ذلك أن يكون باطلاً**»[3]. لم تحمل كتب اللغة المعنى الذي أراده الجاحظ،وهي (**الثّريدة**)ُ التي تفتقد إلى السمْنِ ولكنها معروفة في العامية البغدادية،«فيقال عن (**المَرَقة**) إنّها (**بُلْقَةٌ**)

---

[1] - أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ،البخلاء،حققه وشرحه:محمد التونجي،ص40.

[2] - سيف محمد سعيد المحروقي،نماذج إنسانية في السرد العربي القديم،ص61.

[3] - أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ،البخلاء،حققه وشرحه:محمد التونجي،ص57.

بالكاف الأعجمية لا بالقاف،وهي ترمي إلى نفس ما يستوحى من كلام الجاحظ»[1].

- وجاءت في قصة الحارثي لفظة **(جَلَط)** وذلك في قوله:«**فَجَلَطَ بَطْنُهَا جَلْطَةً»[2].**

وهي عامية بمعنى نزع بطنها،وفي فصيح العربية:«**جَلَطَ رأسه يَجْلِطُهُ إذا حلقه»[3]**، والمعنى الأول هو الذي يدل عليه سياق الكلام.

- وجاءت في قصة أحمد بن خلف لفظة **(المُثَلّثة)** ،وذلك في قوله:«**انظر أن تتخذ لعيالك في الشّتاء من هذه المُثلّثة،فإنها عظيمة البركة،كثيرة النزَل،وهي تنوب عن الغداء،ولها نفخة تُغني عن العشاء»[4]** .فليس في قواميس اللغة تفسير لمعنى هذه الكلمة يتفق مع السياق الذي جاءت فيه،وينقل **الحاجري** عن الأستاذ **داوود الجلبي** قوله:«إنّ كلمة المُثلّثة تطلق الآن في العراق على الحِنطة،بعد أنْ تدق ثلثي الدقّ الكامل بدون أنْ تُسْلق»[5].
- وجاء تعبير عامي على لسان أحد البخلاء قوله:«**وأنا أخاف أن تكزن عينك مالحة»[6].** فقد وصف العين بالمالحة من اللغة السائرة الدارجة وهي التي يمارسها العامة في عصر الجاحظ.

ب- الألفاظ الدخيلة الأعجمية:

اشتملت لغة البخيل على ألفاظ دخيلة وأخرى أعجمية كما يتضح من الأمثلة التالية:

- لقد جاءت لفظة **(الآيين)** على لسان أحد البخلاء،في قوله:«**ويلك،لو ظننت أنّك هكذا أحمقُ ما رددْتُ عليك السّلام،الآيين فيما نحن فيه:أن تكون إذا كنتُ أنا الجالس وأنتَ المار»[7].** وتعني العادة وهو من الكلام الأعجمي الفارسي.
- وجاء على لسان الحارثي لفظة **(البارجين)** قوله:«**والله إنّي لأفضل الدّهاقِين حين عابو الحَسْوَ،وتقزّزوا من التّعرُّقِ،وبهْرجوا صاحب التّمشيش،وحين أكلوا بالبَارْجين،وقطعوا بالسّكين،ولزموا عند الطعام السكتة»[8].** يقول

---

[1] - سيف محمد سعيد المحروقي،نماذج إنسانية في السرد العربي القديم،ص62.
[2] - أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ،البخلاء،حققه وشرحه:محمد التونجي،ص69.
[3] - ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم،لسان العرب،تحقيق:عبد السلام هارون،ص220.
[4] - أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ،البخلاء،حققه وشرحه:محمد التونجي،ص41.
[5] - سيف محمد سعيد المحروقي،نماذج إنسانية في السرد العربي القديم،ص63.
[6] - أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ،البخلاء،حققه وشرحه:محمد التونجي،ص148.
[7] - سيف محمد سعيد المحروقي،نماذج إنسانية في السرد العربي القديم،ص64.
[8] - أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ،البخلاء،حققه وشرحه:محمد التونجي،ص68.

الحاجري في ذلك«لعلّ الكلمة مأخوذة من المصدر الفارسي **(بَرَجَنِيدَنْ)**، ومعناه:الإلتقاط،ويؤخذ من السياق أنها من أدوات الأكل.

- وجاء في طرف أهل خراسان لفظة **(طَبَاهِج)** على لسان أحد البخلاء قوله:«**فلم يلبث الخُراسانيُّ أن سمع نشيش اللحم في المقلى،وشمّ الطُباهج، فقال لي كالمُغضب ما في الأرض أعجبُ منك،لو كنت خبرتني أنك تريده للحم أو للشّحم لوجدتني أسرع إليك به»[1]**. فقد ذكر الشّهاب الخفاجي في تفسيره أنه الكَبَابُ،وقال:« والعرب تسميه الصّفيفُ»[2].

ت- الألفاظ المُعــربة:

استخدم البخيل ألفاظا معربة أيضا،كما يضح من الأمثلة التالية:

جاء على لسان البخيل لفظة **(جَرَذقة)**،وذلك من خلال قوله:«**غير أنّه إذا كان في غداة كلّ جمعة حمل معه منديلا فيه جَرْذَقَتَانِ،وقطع لحم سِكْبَاجَ مبرّد، وجبن، وزيتزنات»[3]** .

كما جاء أيضا استخدام لفظة **(النشاشتج)**،وذلك في قوله:«**وأشار عليّ آخرون بالخزيرة،تتخذ من النَّشَاشَتْجِ والسكر،ودهن اللوز،وأشباه ذلك»[4]** .وقد قال عنها (أدي شير)بأنها «ما يستخرج من الحِنطة إذا نقعت حتى تلين،ومرست حتى تخالط الماء،وصفيت في مناخل وجففت»[5].

وجاء أيضا على لسان البخيل لفظة **(جَيسران)**،وذلك في قوله:«**فلم يلبث أنْ جاءنا بطبق عليه رطب سكّر وجيسران أسود»[6]**.ومعناه:الذّوائبُ.

ث- الألفاظ المُولّــدة:

وردت على لسان نموذج البخيل ألفاظ مولّدة من صنع العامة،وأخرى من صنع البخيل،وكان لانتشار صفة البخل في المجتمع انتشارا ملحوظا،أنْ ولّد لها الناس مصطلحات جديدة،لا نجد لها معنى مباشرا في كتب اللغة،وإنما ارتبطت بأهل هذه الصفة وبمحيطهم حتى غدت هذه الألفاظ خاصة بأصحاب هذه الصفة يعرفونها

[1] - أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ،البخلاء،حققه وشرحه:محمد التونجي ،23.
[2] - سيف محمد سعيد المحروقي،نماذج إنسانية في السرد العربي القديم،ص65.
[3] - أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ،البخلاء،حققه وشرحه:محمد التونجي،ص24.
[4] -المصدر نفسه،ص31.
[5] - سيف محمد سعيد المحروقي،نماذج إنسانية في السرد العربي القديم،ص66.
[6] - أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ،البخلاء،حققه وشرحه:محمد التونجي،ص197.

بينهم،«وهي التي يطلق عليها في علم اللغة الاجتماعي اسم:الخاصة،وهي لغة فنية تخترع كلمات خاصة،أو تستعمل كلمات عادية في معنى خاص»[1].

ومن الألفاظ المولّدة التي جاءت على لسان البخيل (المخطراني)،قال الجاحظ في تفسيره لهذه الكلمة:«**المخطراني الذي يأتيك في زيّ ناسك،ويُريك أن بابك قوّر لسانه من أصله،لأنه كان مؤذّنا هناك**»[2].فهذه الكلمة المولّدة شيء من أدب العامة في صنع اللغة،لتجيء معبرة عن أفكارهم وعاداتهم،يضطربون فيه من شؤون الحياة.

ومثل هذه الكلمة كلمات أخرى كـ:
(الأساطيل،والمستعرض،والزّكوري،والكاغاني،والمشعب) وغيرها.وعلى الرغم من عدم فهمنا لهذه المصطلحات إلاّ أنّها معروفة بين طائفة البخلاء،وكذلك بعض العامة ممن أطلقوا مثل هذه المصطلحات على البخلاء التي هي وصف لفعل معين يتبادر من البخلاء.

ج- الألفاظ الغــريبة:

ورد على لسان نموذج البخيل مجموعة من الكلمات الغريبة على الأقل بالنسبة لهذا العصر،فهي وإنْ كانت مفهومة للعربي في القرن الثالث الهجري،إلا أنّ العربي في قرننا هذا يجد صعوبة في فهمها حيث إنها مازالت حبيسة المعاجم اللغوية لم تبرحها ،فقد جاء على لسان البخيل قوله:«**وكلّف أكّاره أن يجشّه**»[3]. **والأكّار:**بمعنى «الحرّاث،ويقابله في يومنا هذا الفلاّح»[4].

وقد جاء على لسان الكندي قوله:«**وربّما بلغ من استضعافه واستثقاله لأداء الكِراء أنْ يدّعي أنّ له شَقيصًا،وأنّ له يدًا ليصير خصْمًا من الخصوم**»[5]. والشّقيصُ بمعنى الطائفة من الشّيء والقطعة من الأرض.

هذه عيّنة بسيطة من الكلمات الغريبة التي وردت على لسان نموذج البخيل، وما غرابة هذه الألفاظ بالنسبة لزماننا إلا لأننا ابتعدنا عن لغتنا العربية الأصيلة وألزمناها المعاجم اللغوية فغدت غريبة اللسان.

---

[1] - سيف محمد سعيد المحروقي،نماذج إنسانية في السرد العربي القديم،ص67.
[2] - أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ،البخلاء،حققه وشرحه:محمد التونجي،ص51.
[3] - المصدر نفسه،ص129.
[4] - سيف محمد سعيد المحروقي،نماذج إنسانية في السرد العربي القديم،ص69.
[5] - أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ،البخلاء،حققه وشرحه:محمد التونجي،ص86.

ح- نزعة اللفظ إلى الحقيقــة:

ينتقي نموذج البخيل من رصيده اللغوي الوافر الألفاظ الدالة خصوصا على ما يريد أن يعبر عنه،ويبتعد عن الألفاظ التي قد تحمل إلى جانب معناها المقصود معاني أخرى،لا يقصد إليها البخيل،فإذا ذكر مبلغا ماليا صغيرا كان أو كبيرا،نص على الوحدة النقدية أو المالية التي ترمز إليه،مما كان متداولا في زمانه،فنجد (الحبة والشعيرة والدّانق،والدّرهم،والدّينار)،مرورا بالتقسيمات الفرعية من أنصاف وأرباع وأثلاث،ونجد منها الزائف،والمكحل والمزيّف والدينار المبهرج.

كذلك إذا تعرّض إلى أصحاب المهن ذكرهم بالصيغة الصرفية الدالة عليهم كالشوّاء،والخبّاز،والصّباغ،والخيّاط...،وإذا تعرّض للطبخ ذكر الثوم والبصل والتوابل...فقد قصد نموذج البخيل من ذلك أن تكون هذه الكلمات أقوى في مدلولها من الكلمات الأخرى التي لها معانٍ أخرى إلى جانب المعنى الاصطلاحي،وما هذا إلا من قبيل مراعاة دقة الوصف،ومدى تأثيرها على نفسية المتلقي مع حرصه على عدم إدخال الوهم والخطأ على ذهن سامعه.

خ- نزعــة اللفظ إلى التصوير:

على الرغم من نزوع لغة نموذج البخيل إلى الحقيقة،غير أنها في حالات أخرى تنزع إلى التصوير،وسنتناول ذلك في كل من الاستعارة والتشبيه من خلال أمثلة.

❖ **الاستعارة:**

يبدو أنّ الاستعارة شكل من أشكال نزوع لفظ نموذج البخيل إلى التصوير وإنْ لم يستخدمها البخيل كثيرا في كلامه إلا ما ورد على لسانه لما لها من طاقة تعبيرية لدحض تهم الخصم،والدّفاع عن مذهبه في البخل،حيث يقول الكندي:**«ومال الشّراء يخرج جُملة،وثَلمته في المال واسعة،وطعنته نافذة»**[1].فقد شبّه الكندي الخلل في الحائط بطعنة الرمح النافذة على سبيل الاستعارة المكنية،وكيف أنه ربما هدم الحائط وقضى عليه،وما هذا التشبيه إلا لسعي البخيل إلى التأثير على متلقيه،وتوضيح منطق البخيل ومذهبه.

وعليه،فقد قال أحد البخلاء لمن جاء والمائدة موضوعة،وقد فرغ القوم من الأكل قوله:**«أَجهزْ على الجرحى،ولا تعرض للأصحّاء،يقول:اعرض للدجاجة التي قد نيل**

[1] - أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ،البخلاء،حققه وشرحه:محمد التونجي،ص88.

منها،وللفرخ المنزوع الفخِذ،فأما الصحيحُ فلا تعرض له،وكذلك الرّغيف الذي قد نيل منه،وأصابه بعض المرق»[1].

وتدلّ هذه الاستعارات التصريحية على أنّ طعام البخيل فيه الجريح والصحيح،كما هو الحال بالنسبة للكائن الحي،وما هذا إلا حرص من البخيل على ما بقي سالما من طعامه،وتنبيه هذا القادم على عدم التعرض للطعام الذي لم تصل إليه يد الآكلين.

❖ **التشبيـــه:**

إنّ التشبيه هو«بيان أنّ شيئا أو أشياء شاركت غيرها،في صفة أو أكثر بأداة هي الكاف أو نحوها ملفوظة أو ملحوظة»[2].فعلى الرغم من قلّة التشبيهات لدى نموذج البخيل إلاّ أنّ ما وجد منها لا يخلو من طرافة ونزعة واضحة.

يقول أحد البخلاء المُسجديين:«**فعمدت إلى ذلك المتوضأ،فجعلت في ناحية منه حُفرة،وصَهْرجتُها وملّستها حتى صارت كأنها صخرة منقورة»[3].**

فقد سعى البخيل من خلال تشبيه الحفرة بالصخرة المنقورة،إلى استحسان فعله،واكتفى بهذا التشبيه ليدرك المستمع ماهية الحفرة التي حفرها ،فاستغنى بهذا التشبيه عن الكلام الطويل.

ووردت تشبيهات أخرى على لسان البخيل،كقوله:«**وكلّ رغيف في بياض القصعة كأنه بدر،وكأنه مرآة مجلوّة»[4].** فقد وظف البخيل التشبيه للدلالة على قوة العلاقة التي تربطه بمذهبه واصطناع الحيل ما أمكن له ذلك في سبيل خدمة مذهبه في البخل.

2- الأســـاليب:

يبدو أنّ نموذج البخيل قد وظف كل طاقاته اللغوية،واستثمرها للدفاع عن مذهبه ومنطقه في البخل،فقد تنوعت الأساليب في لغته بين الأساليب الخبرية والأساليب الإنشائية،والشرطية والتضاد والمقابلة والحوار والسرد،وقد عمل النموذج على توظيفها لخدمة مذهبه للدفاع عنه،حسب ما تقتضيه الحالة،سواء أكان ذلك في معرض الدفاع عن عيش البخلاء كرسالة سهل بن هارون ورد ابن التوءم،أم الحث على حفظ المال كوصية خالد بن يزيد،أم الحملة الشّعواء على الأكلة كقصة الحارثي،أم التنديد بالمستأجرين وذكر مثالبهم كقصة الكندي.

---

[1] - أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ،البخلاء،حققه وشرحه:محمد التونجي ،ص44.
[2] - سيف محمد سعيد المحروقي،نماذج إنسانية في السرد العربي القديم،ص75.
[3] - أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ،البخلاء،حققه وشرحه:محمد التونجي،ص29.
[4] - المصدر نفسه،ص30.

وعليه فقد ورد الاستفهام في قصة الحارثي كقوله:«**قالوا:فما قال أبو الفاتك؟...فلم تبيحُ مصون الطعام لمن لا يحمدك؟ ومنْ حمدك لم يُحسن أن يحمدك؟ومن لا يفصل بين التنهي الغذي وبين الغليظ الزهم؟**»[1].

والاستفهام أيضا في قوله:«**فاحسب أنّ البخل عليهم غالب،وأنّ الضعف لهم شامل،وأنّ سوء الظنّ يسرع إليهم خاصة،ثمّ لا تداوي هذا الأمر بما لا مُؤْنَةَ فيه؟وبالشيء الذي لا قدْرَ له؟أو تدعُ دعائهم،والإرسال لهم والحرص على إجابتهم؟**»[2].

وقد ورد الاستفهام أيضا في حديث خالد بن يزيد: **قالوا وإنك لتعرف المُكدّين؟.**

والأمر: في قوله**: دعْ عنك مذاهب ابن شرية.وضمير المخاطب أنتَ في قوله:قد عرفت الرأس حق معرفته،...وفهمت كَسْرَ الإكسار على حقيقته...،ولولا علمي بضيق صدرك...**

وورود الحوار في قصة الحزامي،وذلك كقوله:«**قلتُ:ولِمَ؟قال:لأن عبار آخر الصيف يتداخله ويسكن في خلله،فإذا أُمطر الناس...**».وقوله:«**قلت له مرّة: أعملت أنّ خبز البلدي ينبت عليه شيء شبيه بالطين والتراب والغبار المتركم؟قال:حبّذا ذلك منْ خبز!**»[3].

وقد ورد الحوار أيضا في قصة محمد بن أبي المؤمل،وذلك كقوله: **قال:فإنّ الخبز إذا كثر على الخِوان،فالفاصل مما يأكلون،لا يسلم من التّلطُّخ والّغْميرُ...قلت:فإنّ ناسًا يأمرون بمسحه ويجعلون الثّريدة منه....**

ونموذج البخيل يكثر من تنويع أساليبه حرصا منه على التأثير والإقناع وحتى يظهر بمظهر العارف بأمور الحياة ،والعالم بخبايا النفوس،وما سعيه هذا إلا لينفي عن نفسه تهمة البخل،وأنّ ما يراه الناس من بخل هو في حقيقة الأمر حسن تصرف وتدبير وأنّ الخطأ ما هم واقعون فيه.

3- مــواقف من نموذج البخيل:

يبدو أنّ موقف الجاحظ من خلال نموذجه البخيل محايد وإيجابي وسلبي،وهذا من خلال الصورة التي رسمها عن نموذجه،وتأثيراتها على نفسية القارئ،ومعرفة الانطباع العام الذي يتولّد لدى القارئ تجاه هذه الفئة من الناس.

---

[1] - أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ،البخلاء،حققه وشرحه:محمد التونجي،ص67.

[2] - المصدر نفسه،ص111.

[3] - المصدر نفسه،ص59.

يقول المبارك:**«فإنّ مما امتازت قصص الجاحظ تجرّدها عن رأي كاتبها فيها»**[1].

فهو لا يلبث في رأيه ويتخلى عن قوله بحيادية الجاحظ،ويتضح بأنه على ما يبدو كان مُجانبا للصواب ،فكان يلجأ إلى تبرير هذه الحيادية بقوله:**«فإننا إذا أمعنا النظر،وجدنا الجاحظ قد بيّن رأيه في كثير من المواطن بطريق خفي»**[2] .ثم يعلل سبب تدخل الجاحظ في بعض قصصه بأنه استدراكات في قوله:**«ولأبي عثمان عدا هذه التعريضات الخفية تعليقات خفية في بعض القصص،ولكن هذه التعليقات إن هي إلا استدراكات على القصة لتتميمها»**[3]. وكأنه يرى أنّ هذه التعليقات ليست تدخلا في القصة أو إبداء للرأي،وهذا الذي استند إليه الكاتب على ما يبدو لا ليبرر موقفه،ولكنه ليكشف للقارئ عن مدى تدخل الجاحظ في قصصه.و ذلك كقوله:(**أطيب من خلق الله)**،أو **(وكان شديد النّفج)...**

وقد ذهب باحث آخر إلى القول بأنّ الجاحظ في حكايته «لا يعمد إلى ذمّ البخلاء وإعابتهم،وإنما يتركهم في الغالب يدافعون عن حرصهم الشديد دفاعا قويا،يقوم على الحجة والمنطق»[4].وكأنه أريد بذلك القول بأنّ الجاحظ إنْ لم يكن متعاطفا مع نموذجه فإنه على أقل تقدير كان محايدا،ثم يعود هذا الباحث ليناقض ما ذهب إليه،قائلا بأن موقف الجاحظ من هذا الواقع من البخل موقف الذمّ والتنفير .

وكذلك نجد **(أمبيريك)** من الذين لم يجزموا برأي واحد تجاه موقف الجاحظ من نموذجه على الرغم من تأليفه كتابا خصصه بكامله للحديث عن بخيل الجاحظ،غير أنه لم يستطع أن يعطي حكما نهائيا حول هذه القضية الشائكة،فانتهى إلى التصريح بهذه الحقيقة بقوله:«إنّ دارس كتاب البخلاء يجب أن يتريّث قبل أن يحكم على موقف الجاحظ من البخيل،فلسنا نذهب إلى ما ذهب إليه البعض من أنّ الجاحظ في الكتاب بخيل يدافع عن البخل والبخلاء»[5] .

لعل تولّد هذه الحيرة لدى **(أمبيريك)** وغيره من الباحثين ممن ذكرناهم سببها تلك المواقف المتناقضة التي تؤخذ من كلام الجاحظ لما فيها من تعارض.

---

[1] ـ سيف محمد سعيد المحروقي،نماذج إنسانية في السرد العربي القديم،ص79.

[2] ـ أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ،البخلاء،حققه وشرحه:محمد التونجي،ص31.

[3] ـ سيف محمد سعيد المحروقي،نماذج إنسانية في السرد العربي القديم،ص80.

[4] -المرجع نفسه،الصفحة نفسها.

[5] ـ المرجع نفسه ،ص81-بتصرف-

الخاتمة

تقف السخرية على رأس الأساليب الفنية الصعبة، إذْ أنّها تتطلب التلاعب بمقاييس الأشياء تضخيما أو تصغيرا، تطيلا أو تقزيما،هذا التلاعب يتم ضمن معيارية فنية هي تقديم النقد اللاذع في جوّ من الفكاهة والإمتاع،غير أنّ أسلوب السخرية يختلف من عصر إلى عصر،ويتفاوت من كاتب وآخر.

مثّلت السخرية الأداة التي استطاع بها الأدباء نقل أفكارهم بأبسط الطرق،ويقدمها بقالب ساخر يرسم البسمة على الوجه،ويضع خنجراً في القلب،فحكت أقلامهم عن سيف حادّ يقطع رقاب الآلام والأحقاد والظلم،فأصبحت السخرية مرهما لإلتئام جراح المظلومين الذين يتجرعون كؤوس الآلام،والكاتب الساخر هو من يحوّل الألم إلى بسمة ،والحزن إلى إبداع،فإنْ لم يكن للكاتب الساخر قضية مهموم بها ورسالة يريد لها أنْ تصل ،فإنّه يصبح مهرّجاً؛فهو يجعل القارئ يبكي منْ فرط الضّحك،وفي الوقت نفسه يضحك من فرط الألم.لقد عرف السّلف من كتابنا أشكالا عديدة للكتابة الساخرة في موروثنا الأدبي على نحو ما نجده في البخلاء للجاحظ الذي استطاع أنْ يُمثّل صورة مجتمعٍ تفشّت فيه صفة البخل،ومن جملة النتائج التي نخلص إليها:

- إنّ الأدب العربي ومنذ العصر الجاهلي كان حافلا بالسخرية ،وإنْ امتزجت بأغراض شعرية أخرى كالهجاء مثلا لتصل ومع بداية العصر العباسي أوّج مراحل تطورها كفن قائم بذاته،وتصبح أسلوبا تعبيريا خاصا عن واقع الحياة والعلاقات البشرية.
- لاحظنا من خلال تحديد للمعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي للسخرية أنها تتضمن العديد من المعاني كالإستهزاء ، والضحك،والفكاهة.
- إنّ السخرية فنٌّ يُنم عن ألم دفين ويشف من كرب خفي يريد الكاتب اللجوء إليه ليداوي ألمه بالضدّ ويُشفي كربه بالنقيض،ومن هنا كان الألم الذي يشعر به الأديب وعدم قدرته على إلغاء أسباب هذا الألم هو الدّافع وراء هذه السخرية التي يصطنعها.

- تكاد لا تخلو نصوص الجاحظ من السخرية،فبطبيعته المتميزة وأسلوبه الساخر استطاع أن يمزج السخرية بالواقع الذي يعيشه من صفة منتشرة في المجتمع العباسي آنذاك.
- تعتبر صفة البخل من أبرز صفات نموذج البخيل،ولكنها ليست الصفة الوحيدة،وإنما هناك صفات أخرى كالتفاخر،والشراهة..
- إنّ نموذج البخيل سيطر على ثقافة الجاحظ ومعرفته بحيث أصبح يطوّعها لأرائه وعواطفه، وينتقي منها ما هو بحاجة إليه للتأثير والإقناع وهي خاضعة له وليس العكس.
- اشتملت لغة نموذج البخيل ألفاظاً دخيلة وتعبيرات عامية،كما استخدم ألفاظا معربة ومولّدة من صنع العامة،وأخرى من صنع البخيل،كما ورد على لسان البخيل مجموعة من الكلمات الغريبة.
- إنّ الإستعارة والتشبيه شكلان من أشكال نزوع لفظ نموذج البخيل إلى المجاز،وذلك في سبيل خدمة مذهبه في البخل.كما عمد نموذج البخيل إلى المجاز من خلال توظيفه للاستعارة والتشبيه،وذلك من أجل إظهار الناحية الفكرية عند البخيل.
- وظف نموذج البخيل الأساليب الإنشائية كالاستفهام والأمر لإحداث التأثير في متلقيه من خلال استثماره للوظيفة النفسية لهذه الأساليب.
- إنّ سخرية الجاحظ ليست مظهرا من مظاهر النزعة الفنية أو الروح النقدية في أدبه فحسب،بل هي التي ركّب فيها حبّ الضحك والميل إلى نقد العيوب بابتسامة مرحة وتهكم مرير،حيث اعتمد أحيانا على التصوير الحسي،فيبرزهم للناس في صورة مضحكة ،وألفاظ ظاهرها المديح،وباطنها هجاء واستهزاء.

وفي الختام نرجو من الله أن ينال هذا البحث عند متصفحيه الرضا والقبول،وأن ينفعنا في الدنيا والآخرة ، وأن يفتح الآفاق لدراسات مستقبلية،ويلم ثغرات ما ترك في هذا البحث المتواضع.

المَصَادِرُ وَالمَرَاجِعُ

*القرآن الكريم

I. المصادر:

01. أحمد بن محمد إبراهيم بن خلكان(ت:681هـ)،وفيات الأعيان وأبناء الزمان، تحقيق:إحسان عباس،دار الثقافة،د.ط،بيروت،1908م.

02. أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي(ت:327هـ)، العقد الفريد،تحقيق:محمد سعيد العريان، دار الفكر،الطبعة الأولى،بيروت،د.ت.

03. أبي إسحاق إبراهيم بن علي القيرواني الحصري(ت:453هـ)،زهر الآداب وثمر الألباب،ضبطه وشرحه:يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية،الطبعة الأولى، بيروت،1997.

04. أبي حيّان التوحيدي علي بن محمد بن العباس(ت:414هـ)،مثالب الوزيرين، تحقيق:إبراهيم الكيلاني،دار الفكر،د.ط،دمشق،1961.

05. أبي حيّان التوحيدي علي بن محمد بن العباس(ت:414هـ)،البصائر والذخائر، الجزء الثالث، تحقيق:دار القاضي ودار صادر،الطبعة الأولى، بيروت،1964.

06. أبي عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ(ت:255هـ)،البخلاء،شرح:كرم البستاني، دار صادر،الطبعة الأولى،بيروت،1963.

07. أبي عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ(ت:255هـ)،البخلاء،تحقيق:طه عبد الرؤوف سعد، دار الكتاب العربي،الطبعة الأولى،دمشق،القاهرة،د.ت.

08. أبي عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ(ت:255هـ)،البخلاء،حققه شرحه:محمد التونجي،دار الجيل للنشر والطباعة والتوزيع، الطبعة الأولى، د.ب،1430هـ-2009م.

09. أبي عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ(ت:255هـ)،البخلاء، دار الكتاب الحديث، د.ط، د.ب،1424هـ-2003م.

10. أبي عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ(ت:255هـ)،البخلاء،تحقيق:طه الحاجري،دار المعارف،الطبعة الخامسة،مصر،1976.

11. أبي عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ(ت:255هـ)، البيان والتبيين، تحقيق:عبد السلام هارون، دار الجيل،الطبعة الثانية،بيروت،د.ت.

12. أبي عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ(ت:255هـ)، الحيوان، تحقيق:عبد السلام هارون، دار الجيل، الطبعة الثانية، بيروت،1996.

13. أبي العيناء محمد بن القاسم بن خلاّد(ت:282هـ)،دراسة وتوثيق:أبو سويلم أنور،دار عمان،الطبعة الأولى،الأردن،1999.

14. أبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني(ت:356هـ)،الأغاني، تحقيق:علي السبّاعي، وعبد الرحمان إبراهيم العزباوي،دار إحياء التراث العربي،د.ط، بيروت،1960.

15. أبي الفضل أحمد بن الحسين(ت:395هـ)،شرح مقامات بديع الزمان الهمذاني، عبد الحميد محمد محي الدين،مكتبة الخانجي، الطبعة الثانية، القاهرة،1962.

16. أبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، أساس البلاغة، الجزء الثاني،دار الكتب العلمية،الطبعة الأولى،لبنان،د.ت.

17. أبي الطيب محمد بن أحمد بن إسحاق بن يحي الوشّاء(ت:325هـ)،الظرف والظرفاء،شرحه وقدم له:عبد الأمير علي مهنّا،دار الفكر اللبناني،الطبعة الأولى،بيروت،1996.

18. أبي سعد منصور بن الحسين الآبي(ت:421هـ)،نثر الدّر،تحقيق:محمد علي قرنة،الهيئة المصرية العامة للكتاب،د.ط،القاهرة،د.ت.
19. أبي منصور عبد المالك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي(ت:429هـ)،فقه اللغة وسرّ العربية،تحقيق:مصطفى السّقا،وإبراهيم الأبياري،وعبد الحفيظ شبلي،دار الفكر،الطبعة الثالثة،القاهرة،د.ت.
20. أبي منصور عبد المالك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي(ت:429هـ)،كتاب الكناية والتعريض،تحقيق:أسامة البحيري،مكتبة الخانجي،الطبعة الأولى، القاهرة،1997.
21. إسماعيل بن حماد الجوهري،الصّحاح،مراجعة:محمد محمد الناصر،دار الحديث،د.ط،القاهرة،2009.
22. الخليل بن أحمد الفراهيدي،كتاب العين،تحقيق:عبد الحميد هنراوي،الجزء الثاني،دار الكتب العلمية،الطبعة الأولى،بيروت، لبنان،د.ت.
23. جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور،لسان العرب،دار صادر،د.ط، بيروت،1990.
24. عبد الرحمان بن علي بن محمد بن علي جمال الدين بن الجوزي (ت:597هـ)، أدب الأذكياء وأخبارهم أو أخبار الظّراف والمتماجنين، تحقيق: أحمد قومندار مصطفى الحسين،دار النمير،ودار الفوائد،الطبعة الأولى، دمشق،1996.
25. عبد الرحمان بن علي بن محمد بن علي جمال الدين بن الجوزي (ت:597هـ)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم،الجزء الخامس،حيدر آباد،د.ط، الهند،1370هـ.
26. مجد الدين بن يعقوب الفيروز آبادي،القاموس المحيط،مؤسسة الرسالة،الطبعة الثامنة،بيروت، ياقوت الرومي الحموي(ت:626هـ)،معجم الأدباء،إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب،تحقيق:إحسان عباس،الجزء الخامس،دار الفكر الإسلامي،الطبعة الأولى،بيروت،1993.لبنان،د.ت.

27. محمد بن أبي بكر عبد القادر الرّازي(ت:666ه)،مختار الصّحاح،مكتبة لبنان، د.ط،بيروت،لبنان،1997.

ا. أهم المراجع:

01. أبو عيسى فتحي محمد،الفكاهة في الأدب العربي إلى نهاية القرن الثالث الهجري،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،د.ط،الجزائر،1970.

02. إبراهيم الكيلاني،رسائل أبو حيّان التوحيدي:حياته وآثاره، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، د.ط، دمشق، د.ت.

03. أدونيس علي أحمد سعيد،مقدمة للشعر العربي،دار العودة،الطبعة الرابعة، بيروت،1983.

04. أحمد حسن بسبع،شرح ديوان ابن الرومي،دار الكتب العلمية،الطبعة الأولى،بيروت،د.ت.

05. أنطوان نعمة وآخرون،المنجد الوسيط،دار المشرق،الطبعة الأولى،بيروت، لبنان،2003.

06. الراغب الأصفهاني الحسين،محاضرات الأدباء،دار مكتبة الحياة،د.ط، بيروت،1961.

07. بوحجام محمد ناصر،السخرية في الأدب الجزائري الحديث،جمعية التراث غرارية،د.ط،الجزائر،2003.

08. بوطيش سيمون،الفكاهة والسخرية في أدب مارون عبود،لانا للطباعة والنشر،الطبعة الأولى، بيروت،1983.

09. جبر جميل لاتا،نوادر الجاحظ،سلسلة عالم الفكاهة،د.ط،الجزائر،د.ت.

10. حامد عبده الهوال،السخرية في أدب المازني،الهيئة المصرية العامة للكتاب،د.ط،القاهرة،1982.

11. ركّان الصفدي،ابن الرومي الشاعر المجدد،منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب،د.ط،دمشق،د.ت.

12. سعد فاروق،مع بخلاء الجاحظ:دراسة تحليلية مقارنة مع منتخبات،دار الآفاق الجديدة،الطبعة السادسة،بيروت،1992.
13. سعيد أحمد عزاب،السخرية في الشعر المصري في القرن العشرين،دار العلم والإيمان،د.ط،مصر،2010.
14. سيف محمد المحروقي،نماذج إنسانية في السرد العربي القديم،دار الكتب الوطنية،الطبعة الأولى،أبو ظبي،2010.
15. عبد الرحمان البرقوني، شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة، بيروت، د.ت.
16. عبد الرحمان محمد الجبوري،السخرية في شعر البردوني،المكتبة الجامعية الحديثة،الطبعة الأولى،كركوك،العراق،2011.عكاري سوزان،السخرية في مسرح أنطوان غندور،المؤسسة الحديثة للكتاب،الطبعة الأولى،بيروت،1991.
17. عطوان حسين،مقدمة القصيدة العربية في العصر الأموي،دار المعارف، د.ط، القاهرة،1974.
18. صباح عبيد درّاز،الأساليب الإنشائية وأسرارها وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم،مطبعة الأمانة،الطبعة الأولى، مصر،1406ه.
19. فاعور علي،شرح ديوان أبي نواس،دار الكتب العلمية،الطيعة الثانية، بيروت،د.ت.
20. مجموعة مؤلفين،المعجم الوسيط،المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، استانبول، تركيا،1972.
21. مجيد طرّاد،شرح ديوان الأخطل،دار الجيل،د.ط،بيروت،د.ت.
22. محمد إسماعيل عبد الله لاتا الصويف،شرح ديوان جرير،منشورات مكتبة الحياة،د.ط،بيروت،د.ت.
23. محمد حسين،الهجاء والهجّاؤون في صدر الإسلام،دار النهضة العربية للطباعة والنشر،الطبعة الثانية، مصر،د.ت.

24. محمد علي الصابوني،صفوة التفاسير،دار القرآن الكريم،الطبعة الرابعة، بيروت،1981.
25. ناظم رشيد،الأدب العربي في العصر العباسي،دار الكتب للنشر والتوزيع، جامعة الموصل، د.ط،1410هـ-1989م.
26. نسيمة الغيث،من المبدع إلى النص:دراسات في الأدب والنقد،دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط،القاهرة،2001.
27. نعمان محمد أمين طه،السخرية في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري،الدار التوفيقية،الطبعة الأولى،القاهرة،مصر،1978.
28. معوض أبو عيسى فتحي محمد،الفكاهة في الأدب العربي إلى نهاية القرن الثالث الهجري،دراسة ووثائق الجزائر،د.ط،الجزائر،د.ت.

II. **المجلات والرسائل:**

01. الرسائل:

- إيمان طبشي،النزعة الساخرة في قصص السعيد بوطاجين،رسالة لنيل درجة الماجيستر،جامعة قاصدي مرباح،ورقلة،2010-2011،مخطوط.
- زهيرة محبوب،السخرية ودلالتها في المجموعتين القصصيتين:وفاة الرجل الميت،واللعنة عليكم جميعا للسعيد بوطاجين، رسالة لنيل درجة الماستر، جامعة محمد خيضر، بسكرة،2012،مخطوط.
- سامية مشرب، السخرية وتجلياتها الدلالية في القصة الجزائرية المعاصرة، رسالة لنيل درجة الماجيستر،جامعة مولود معمري،تيزي وزو،الجزائر،د.ت،مخطوط.
- نفنين محمد شاكر عمرو،السخرية في العصر المملوكي الأول(648-784)،رسالة لنيل درجة الماجستير،جامعة الخليل،العراق،2008-2009،مخطوط.

02. **المجلات:**

❖ عبد الكريم البوغيش،السخرية في شعر محمد الجوهري، الجامعة الإسلامية، طهران، إيران،2010.

فهرس

مقدمة.....أ-ب

مدخل:السخرية في التراث العربي القديم.....

الفصل الأول:السخرية والفكاهة :المفاهيم والدوافع

1-مفهوم السخرية.....11-13

2-مفهوم الفكاهة.....13

3-أنواع السخرية:

أ-السخرية السياسية.....14

ب-السخرية الاجتماعية.....14-15

ت-السخرية الثقافية.....15

4-**أساليب السخرية**.....15

5-**دوافع السخرية**.....16

6-الهدف من السخرية.....17

7-السخرية وفنون الأدب:

*الفرق بين السخرية والتهكم.....18

*الفرق بين الفكاهة والسخرية.....19

*الفرق بين الهجاء والسخرية.....19-20

8-أشكال السخرية والفكاهة العباسية:

1/الغفلة والتغافل.....20

2/التلاعب بالألفاظ والمعاني.....21

3/الدُّعابة.....22

4/التخلــّص.....22

5/التّهــكُّم.....22-23

9-أشهر أدباء السخرية والفكاهة في العصر العباسي:

أ-الجاحظ.....24-25

ب-أبو العيناء.....26-27

ت-أبو حيان التوحيدي.....28-29

ث-بديع الزمان الهمذاني.....30-31

الفصل الثاني:السخرية والفكاهة من خلال كتاب البخلاء للجاحظ:

أولا:التعريف بالمُؤلِّف والمُؤلَّف:

1-التعريف بالجاحظ.....33

2-شخصية الجاحظ.....33-34

*آثاره.....34

3-التعريف بكتاب البخلاء للجاحظ.....34

4-قيمة كتاب البخلاء.....35-36

5-مفهوم البخل.....37

6-البخل في التراث العربي القديم.....37-38

7-أشهر المؤلفات في البخل والبخلاء.....38-40

ثانيا:مصادر تشكيل نموذج البخيل في كتاب البخلاء للجاحظ:

1/نفسية البخيل.....41-43

2/ملامح نموذج البخيل:

أ-النَّفَجُ(التفاخر والكبر).....44

ب-الإنفرادية.....45

ت-نكران الجميل.....45

ث-الشّراهة.....45

ح-الصّدق.....46

خ-عزّة النفس.....47

3/ثقافة البخيل.....47-48

4/طبيعة تديّنه.....48

5/صفات نموذج البخيل.....49

ثالثا:لــغة نموذج البخيل:

1-طبيعة اللفظ:

أ-ألفاظ وتعبيرات عامية.....50-51

ب-الألفاظ الدخيلة الأعجمية.....51-52

ت-الألفاظ المُعربة.....52

ث-الألفاظ المولّدة.....53

ج-الألفاظ الغريبة.....53-54

ح-نزعة اللفظ إلى الحقيقة.....54

خ-نزعة اللفظ إلى التصوير.....54-55

2-الأساليب.....56-57

3-مواقف من نماذج البخيل.....57-58

خاتمة.....59-60

المصادر والمراجع.....61-66

الفهرس.